

الباب الرابع
اتجاهات إسلامية

اتجاهات قاصرة

اتجاهات أصيلة

اتجاهات إسلامية

نحن نتحدث عن العالم المعاصر . . .

ومن ثم فإننا نتحدث عن القرن العشرين . . .

ولئن كنا أوغلنا قرناً أو بعض قرن حين تحدثنا عن الاتجاهات الدخيلة : غربية وشرقية؛ فذلك لنبين جذورها، وليعلم قومنا أن ما هم فيه ليس قصداً إلى تمدينهم ولا إلى رقيهم، إنما هو عروة من عرى حرب ضروس شنها أعداؤهم عليهم . فلما لم تفلح حرب السلاح ، لجؤوا إلى حرب الفكر والعقيدة .

وكانوا في الثانية : أخبث ، وأنجح .

بيد أنهم - وإن نجحوا - فإن نجاحهم محدود . . .

محدود كما : فلا تزال القاعدة العريضة من المسلمين بعيدة عن تأثيرهم، لا تزال الفطرة في البادية وفي الريف هي الغالبة، برغم كل ما بذله الغرب والشرق من فساد وإفساد . . .

وهو كذلك محدود كيفاً:

فإن ما غيروه قليل إلى جوار ما بقي ، حتى في نفوس أتباعهم .

ولا يزال الإسلام في كل يوم يضم إلى صفوفه كثيرين ممن كانوا عندهم روادا . . .

وهذا محمد حسين هيكلي يعلن عودته لحظيرة الإسلام .

وهذا طه حسين، يتجه في أخريات حياته إلى الإسلام، وإن بقي فكره مشوباً

بكثير من المؤثرات الأولى .

وهذا جلال كشك ، ومصطفى محمود .

وغيرهم كثير . . .

يفتح الإسلام ذراعيه فرحا بهم، أشد فرحا من فرحة الأم بعودة وحيدها الغائب، أو أشد فرحا من ظاعن بالصحراء وجد بعد لآى بعيه الشارد . وهذا النجاح لا يأمن بعد ذلك رد الفعل . . .

إن لم ينتهوا، ويتركوا أرض الإسلام ، وأبناء الاسلام . وبعض الذى سنقدم - إن لم يكن أكثره - كان رد الفعل .
وقد بدأ أو بدا أثره قاصرا .

لكنه يوشك - بإذن الله - أن يعرف طريقه، وأن يبلغ غايته، ليم الله نوره ولو كره المشركون.

ونحن نكتفى فى الحديث عن الاتجاهات الإسلامية بما كان منها فى هذا القرن الرابع عشر الهجرى، لأن هذا هو معنى المعاصرة الذى نقصد إليه، ولن نشغل أنفسنا ولا نشغل الناس بالحركات التى لبست ثياب الإسلام وهى تضمهر له الشر ، وتحمل له الحق، فإن صبغها بصبغة الإسلام خطأ كبير^(١) .

لكننا قد نشغل أنفسنا ونشغل الناس بالحركات والاتجاهات القاصرة ؛ لأنها وإن كانت لا تمثل الإسلام الصحيح، فإنها خطوات إليه، حسب أصحابها منها حسن النية، وحسبهم اجتهداهم وإن أخطؤوا فلهم الأجر- إن شاء الله، ثم لابد من دراستها لتبين ما فيها من خير فنستثمره، وما فيها من سوء فنرفضه، ثم لندعو أصحابها أن هلموا إلى الإسلام الصحيح . . ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ . يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ

(١) مثل القاديانية . . التى قامت فى الهند عميلة للاستعمار البريطانى . . محاولة تحريف العقيدة الإسلامية . . وهى وغيرها من الحركات المشبوهة موضع دراسة مادة الأديان والفرق .

وَجُودٌ ﴿[آل عمران : ١٠٥، ١٠٦] .

ونبدأ - بإذن الله - بهذه الاتجاهات .

ثم نشئ - بإذن الله - بالاتجاه الصحيح .

والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الفصل الأول

اتجاهات قاصرة

مقدمة :

وفي حديثنا عن الاتجاهات القاصرة فقد نغفل تسمية أصحابها، ليس خوفا منها، ولا ملقا لغيرها ..

فيعلم الله، أن خوفنا منه، ورجاءنا إليه .

- ولكنه أدب، علمنا إياه الرسول ﷺ، حين كان يصعد المنبر فيقول : «ما بال أقوام فعلوا كذا وكذا».

- ثم هو بعد ذلك دعوة، لأولئك الذين أحبوا الإسلام، وإن لم يفهموه الفهم الصحيح أو المتكامل، دعوة إليهم من غير جرح لمشاعرهم.

فهم أقرب إلينا من الذين شردوا، وهم أعز علينا منهم، بل قد يكونون أعز علينا من أنفسنا.

وأول هذه الاتجاهات القاصرة : ما اقتصر على العقيدة، وغالى فيها ..

وثانى هذه الاتجاهات القاصرة : ما اقتصر على النسك، وغالى فيها ..

وثالثها : ما اقتصر على محاولة إصلاح بعض المؤسسات ولم يستطع، حتى أن يغالى فيه. ونكتفى بهذه الاتجاهات لنجمع تحتها كثيرا من الحركات التى ظهرت فى هذا القرن، ولنجمع تحتها كذلك كثيرا من الجمعيات التى حملت اسم الإسلام، أو جزءاً من اسمه ..

وكل ذلك بغير تسمية كما أشرنا ..

المبحث الأول

اتجاهات نحو العقيدة

لا شك أنها نقطة بداية صحيحة :

أن نبدأ من العقيدة . .

فإنها الأساس . .

لكن، الخطأ والخطر . .

أن نقف عندها . .

أو أن نتغالى فيها . .

وقبل أن نبين الخطأ والخطر فيها ، نبين الصواب فيها ، مشيرين إلى ظروف نشأتها، فهذان بحثان - بإذن الله .

أولاً : صواب البدء بالعقيدة

البدء بالعقيدة عين الصواب .

لأن الإسلام يقيم بناء له أساس . .

وأساسه العقيدة . .

وبناء الإسلام ليس من حجارة ولا من صخور ، وإن كان بعد قيامه أثبت من الرواسي وأصلب من الصخور . .

إنه بناء معنوي . .

بناء قيم ومثل . .

بناء شريعة ..

أساسها عقيدة ..

وهذا البناء لا يقام في فراغ .

ولا يقام كذلك على جحد .

لكنه يقام على أكرم ما خلق الله ، على الإنسان .

ثم هو يقام في أعز مكان في الإنسان وأعلى قطعة فيه ..

إنه يقام في قلبه ..

«التقوى ها هنا - وأشار النبي ﷺ إلى قلبه»^(١) .

«ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، ألا وهى القلب»^(٢) .

والذين أقاموا الحضارات غير الإسلامية ..

أخطؤوا نقطة البدء، بل أخطؤوا مكان البناء نفسه .

فأقاموا بناء الحضارة خارج الإنسان، من الآلة، والمصنع، وناطحات السحاب .

وهم حتى حين نظروا إلى الإنسان، نظروا إلى أحط شيء فيه؛ غرائزه ..

فكانت حضارتهم إشباعا لهذه الغرائز، وإثارة لها، حتى شقى الإنسان بحضارتهم أيما شقاء .

وأهملوا في الإنسان أعز شيء فيه، وأعلى قطعة منه .. أهملوا قلبه ..

وهذا هو الفارق بين حضارتهم وحضارة الإسلام ..

والظروف التى دعت للنداء بالعقيدة :

قريبة من الظروف التى دعت الإسلام للنداء بها أول مرة .

(١) من حديث طويل رواه الشيخان .

(٢) رواه البخارى في كتاب الايمان ٢٩ ، ومسلم، وابن ماجه .

فكثير من المجتمعات الإسلامية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر، وبعضها لا يزال حتى القرن الرابع عشر الحالى - يتنازعها تقاليد وأفكار، إن لم تكن هى الشرك فهى قريبة منه، بل إن بعض هذه المجتمعات أوشك يوما أن يعبد شجرة، أو مكانا حاطه البعض بشيء من التقديس .

ولا يزال كثير مما يحدث اليوم - فيما يسمى بالموالد - له شكل الشرك، ولا ينقصه إلا النية - والله أعلم بالنوايا . .

وبرغم أن أصحاب هذه « الموالد » برءاء مما أحدث الناس ، بل إن بعضهم لو كان على الحياة لحرق كثيرا من أولئك الضالين ، كما فعل على بن أبى طالب عليه السلام بمن أهوه من دون الله - سبحانه وتعالى . .

وبرغم ما يقال من أن إحياء هذه « الموالد » إحياء لمبادئ وقيم أصحابها وتذكير بها . . فإن ما غلب عليها من « بدع » وما يرتكب فيها أو باسمها من « آثام » كفيل بالانتهاى عنها .

فإن أسباب تحريم الخمر والميسر قول الله : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ [البقرة : ٢١٩] .

فضلا عن أن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة .
وسد الذرائع كفيل بترك ما لا بأس به خشية أن يكون به بأس . .

طواغيت:

والطواغيت التى أمرنا الله أن نكفر بها ليصح إيماننا . .

ليست - ولم تكن - الأوثان والأصنام فحسب . .

إن تلك الأوثان والأصنام مجرد صورة واحدة، أو مثل واحد .

لكن صور الطواغيت كثيرة :

معتقدات ..

مبادئ ..

أفكار ..

أشخاص ..

عواطف ومشاعر ..

سلوك ..

صور للتنسك ..

وجماع هذه جميعا : أن تعطى أو تعطى شيئا منها بعض صفات الله أو بعض أفعاله التي اختص بها وحده - سبحانه ..

ولا يهم أن تفرد بها هذا العطاء ..

أو أن تشركها مع الله فيه ..

فمن أعطى شخصا، أو هيئة، أو مبدءاً، صفة «الحكم» أي وضع القواعد والتشريعات ابتداءً، وهذا خالص حق الله سواء في مجال العقيدة، أو الأخلاق، أو العبادات أو المعاملات : اقتصادية، وسياسية، واجتماعية ..

فقد اتخذ الشخص أو الهيئة أو المبدء طاغوتا ..

فإن أفرد بهذه الصفة، فقد اتخذ طاغوتا من دون الله .

وإن أشركه مع الله في هذه الصفة ، فقد اتخذ طاغوتا مع الله .

وفي الحالين إن توافرت له الإرادة فقد انتفى عنه الإيمان ..

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ ﴿٦٠﴾ .

إلى قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء].

فلينظر الذين يقولون :

«أنا مسلم العقيدة ماركسى المذهب»

فإن العقيدة لا تصح حتى يسقط كل طاغوت يعطيه الإنسان بعض حق الله .

﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ولذا كان النفى في شهادة التوحيد سابقا على الإثبات ..

لا إله إلا الله ..

العقيدة الصحيحة :

والعقيدة الصحيحة .

ليست مقصورة على نطق اللسان : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

إنها قبل ذلك علم القلب وعمله ..

وهي ليست مقصورة بعد ذلك على عمل الجوارح .

إنها إن اقتصرَت على الأولى : شهادة اللسان ، وانتفت الثانية : كانت نفاقا ..

وإن اقتصرَت على الثانية دون الأولى ، كانت كفرا ..

وإن اقتصرَت على الأولى والثانية دون الثالثة ، كانت فسقا ..

ثم :

إنها ليست مقصورة على جانب من صفات الله دون الجانب الآخر .

إنها كما تشمل الاعتقاد بأن الله خالق ..

تشمل كذلك الاعتقاد بأنه رازق . .

تشمل كذلك الاعتقاد بأنه : حكم أو حاكم . . والإخلال في جانب من هذه الجوانب كالإخلال بالجانب الآخر، سواء بسواء^(١) .

ثانيا : خطأ وخطر

الذين نادوا بالعقيدة على ذلك النحو .

أصابوا كل إصابة . .

لكنهم أخطؤوا من جانبيين :

أنهم وقفوا عندها . .

أو أنهم غالوا فيها، أو فعلوا الخطأين معا . .

أما خطؤهم في الوقوف عندها :

فإن العقيدة أساس . .

لا يقوم بناء بغيره ، وهذه أهميتها . .

لكن . . .

أيصح لعاقل أن يقيم الأساس، ويكتفى ؟

فلا يقيم بعده البناء ؟

وما يجديه الأساس، إن أصابته حرارة الصيف أو مسه برد الشتاء ؟

وأما خطأ المغالاة فيها :

فقد جاء من اعتبارهم الاثتار بالأمر والانتهاه على النهى جزءاً من العقيدة،

(١) تفصيلاً لذلك : بحثاً مفصلاً (الإيمان الحق : شهادة وعقيدة وعبادة) للدكتور على جريشة - دار الشروق؛ الطبعة الأولى، سبتمبر سنة ١٩٧٥م - والمراجع المشار إليها في هذا البحث .

وترتيبهم نفس النتيجة التي تترتب على تخلف الأجزاء الأخرى - كشهادة اللسان أو اعتقاد القلب. واعتبار «العمل» بتفصيله السابق جزءاً من الإيمان صحيح .

لكن ترتيب نفس النتيجة عليه غير صحيح .

ذلك أن للإيمان درجات، كما أن في الجنة درجات .

وللكفر درجات، كما أن في جهنم درجات !

أو هو كالكائن الحي، لا يستوى فصل رأسه مع فصل رجله أو يده . ومن ثم فلا يستوى في شرع الله تارك الشهادة : لا إله إلا الله مع تارك إطعام المسكين . .

ولا يستوى من داس مصحفاً، أو أنكر شيئاً ما فيه .

مع من اغتاب، أو سعى بالنميمة، أو حتى قتل !

والقرآن سمي تارك « الهجرة » مؤمناً: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنفال : ٧٢] .

وسمي من قاتل أخاه « مؤمناً » : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَاقْتُلُوا آلِيَا تَتَّبِعِي حَتَّىٰ تَقَىٰ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات : ٩] . وتداعى الناس وتتابعهم في المعاصي، لا يدفعنا إلى خطأ آخر، هو تكفيرهم . .

إنما ينبغي على المسلم أن يمسك في أحلك الظروف بالميزان الدقيق . يزن به الأفعال والأشخاص ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى : ١٧] .

المبحث الثاني

الاقتصار على النسك

لا شك في فضل شعائر الله .

ولا شك أنها عمدة هذا الدين، لا يقوم بغيرها ..

ولا شك أن تعظيمها وتوقيرها من تعظيم الله وتوقيره، ومن تقوى القلوب :
﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج] .

لكن هل نستطيع أن نقتصر عليها - فقط - ونقول هي الدين ؟

الرسول يرفض محاولة الاقتصار أو محاولة التغالي :

بعض الذين يقتصرون اليوم على الشعائر يقولون : إنهم يتشبهون بالصحابه ،
وأصحاب رسول الله ﷺ برءاء مما يقولون ..

فمنهجهم هو منهج الرسول عليه الصلاة والسلام، الذي شجب مثل هذه المحاولات
ليوضح سته، حين قال أصحاب النبي ﷺ : أين نحن من النبي ﷺ، قد غفر الله له ما تقدم من
ذنبه وما تأخر، قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلي الليل أبدا، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا
أفطر، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا..

فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟

أما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له ..

ولكني أصوم وأفطر ..

وأصلي وأرقد ..

وأتزوج النساء ..

فمن رغب عن سنتي فليس مني» ^(١) .

وهذا حظلة الكاتب التميمي ، يقول : كنا عند رسول الله ﷺ ، فذكرنا الجنة والنار حتى كأنها رأى العين ، فقمنا إلى أهلي وولدي فضحكنا ولعبنا . قال : فذكرت الذي كنا فيه ، فخرجت فلقيت أبا بكر ﷺ ، فقلت : نافقت ، نافقت . فقال أبو بكر : إنا لنفعله ، فذهب حظلة فذكره للنبي ﷺ ، فرد عليه رسول الله ﷺ ، رد المعلم الرؤوف الرحيم : « يا حظلة لو كنتم كما تكونون » عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم ، (أو على طرقكم) يا حظلة ، ساعة وساعة» ^(٢) .

وحين علم رسول الله ﷺ أن رجلا قد انقطع للعبادة .

قال : «ومن يطعمه ويسقيه ؟

قالوا : أخوه .

قال : «أخوه أعبد منه» .

ثم أعطى معنى العبادة حقها :

حين جعل الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ^(٣) .

وحين قال : «إن من الذنوب ذنوبا لا تكفرها الصلاة ولا الصوم ولا الحج ، ويكفرها الله في طلب المعيشة !» وفي لفظ : «عرق الجبين» ^(٤) .

الاستعمار يشجع فرق المتنطعين :

وحين جاء الاستعمار الأوربي إلى أرض الإسلام ، حارب الدين وكل ما هو

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد واللفظ للبخاري .

(٢) رواه ابن ماجه .

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي .

(٤) رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية .

دينى، إلا فرق المتنتطين رافعى الرايات، وضاربى الدفوف ، والهاثمين على وجوههم، زاعمين أنهم من أهل الله يتكفون الناس .
وكان من بين ما شجعه المستشرقون التصوف ^(١) .

التصوف بهذا المعنى القاصر .

لأننا لا نود أن نظلم المتصوفة كلها .

وإن كنا نود لهم ما ارتضاه رسول الله ﷺ :

«أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له .

ولكنى أصوم وأفطر .

وأصلى وأرقد .

وأتزوج النساء .

فمن رغب عن سنتى فليس منى» !

هل صحيح بعد ذلك الاقتصار على النسك ؟

أظنه ليس بحاجة إلى جواب .

إلا أن تقول بصلاحيّة أعمدة تقوم، لأن تؤوى أسرة فتقيها حر الصيف وبرد الشتاء .

وإلا أن تقول بغير ما قال محمد عليه الصلاة والسلام .

أما المغالاة :

فلئن كان الاقتصار خاطئاً .

فالمغالاة أشد خطأ، حتى ولو كانت بقصد كريم شريف، فلا بد مع القصد من

الاتباع؛ لأن الإفراط فى شىء تماماً كالتفريط فيه، كلاهما طرفا نقيض مذموم من الله

سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ

(١) راجع ما سبق عند الكلام عن الاستشراق .

قَوَامًا ﴿٣٤﴾ [الفرقان] .

وفي موضوعنا نصوص كثيرة : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾ [الحجرات : ٧].

«عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا» ^(١) .

«إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى» ^(٢) .

«إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه» ^(٣) .

وبعد ذلك ..

فإن الإغراق في جانب وإعنات النفس فيه، يؤدي - بغير شك - إلى الملل والسأم، مما يفضي بعد ذلك إلى الانقطاع ! أو يرتد بالنفس إلى التقيض الآخر .. أو يؤدي إلى خلل في الجسم أو العقل أو المال .

(١) الموافقات ج ١، ص ٣٤٣ .

(٢) رواه أحمد والبيهقي .

(٣) رواه البخاري والترمذي .

المبحث الثالث

مدارس العقل والعقلاء

مدارس العقل والعقلاء نشأ أكثرها في فترة الاحتلال الأجنبي، وفي أوج قوته .. لها فلسفتها :

إننا لسنا بقادرين على مجابهة قوة الاستعمار العسكرية، ومن ثم فلنؤجل الجهاد، ولنعمل العقل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، أو باستعارة التعبير : (ما لا يدرك كله لا يترك جله). اتهام نفيهم :

ونحن - على عكس كثير غيرنا - نحسن الظن بأصحاب هذه المدارس، ولا نقبل أن نسميهم (عملاء) ^(١) .

وإن بدا منهم لون من الاتصال أو التعاون مع العدو المستعمر .. ذلك أن هؤلاء القوم - كما نقول - صدروا في فلسفتهم المحركة لهم عن ضعف استشعروه ، فالاستعمار قهرهم ، وقهر من كان أشد منهم قوة وأعز نفرا ! فكيف بهم أن يقفوا في وجهه .. ؟

سذاجة :

لكننا وإن نفينا عنهم (العمالة) فلا نستطيع أن ننفي عنهم (السذاجة)، إنهم ظنوا أنهم يستطيعون أن يضحكوا على الاستعمار ويمكروا به فإذا به أشد مكرا .

(١) شن الدكتور محمد محمد حسين حملة شديدة على الشيخ محمد عبده وشيخه الأفغاني في كتبه : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، الحضارة الغربية ... إلخ، وسار على نفس المنهج الأستاذ غازي التوبة في بحثه القيم «الفكر الإسلامي المعاصر» وفعل غيره كذلك .

ظنوا أنهم يستطيعون أن يمتطوه ليسخروه لصالح الإسلام وامتطاهم الاستعمار
ليسخرهم لصالح التغريب، والتغيير الاجتماعي !

فبعضهم ظن أنه يستطيع أن يقنع الإنجليز بإصلاح التعليم الديني : (إن أعظم
فاعل في نفوس المصريين أن يقال لهم : إن صاحب هذه المنفعة ليس من دينكم
وإنكم مأمورون ببعضه) ، ثم يقول : (الدين الإسلامي الحقيقي (!) ليس عدو
الألفة ، ولا حرباً على المحبة ولا يحرم المسلمين من الانتفاع بعمل من يشاركهم في
المصلحة، وإن اختلف عنهم في الدين، وبالجمله فهو أفضل كافل لجعل الرعية
صالحة لأن تكون بدنا في رأس أو آلة لعامل) ^(١) .

وبهذه النية التي نحسن الظن بها، ألف صاحب 'مدرسة العقل جمعية التقريب بين
الأديان .

فيها المسلمون .

والنصارى .

واليهود .

ولعله لم يكن قد اطلع على توصيات المبشرين والمستشرقين في التقريب بين
الأديان، ولعله كذلك لم يدرك أن التقارب بين الإسلام والمسيحية واليهودية لا
يمكن أن يكون إلا على حساب الإسلام؛ لأنه الوحيد الدين الصحيح وغيره محرف
ولا بد في التقريب من التنازل وتنازل المحرف لا يضره ! . أما تنازل الصحيح فإنه
يضره ويضره كل الضرر !!

ولعله لم يدرك أن المشركين حاولوا مع رسول الله ﷺ ذلك التقارب حين قالوا له:
نعبد إلهك يوما ، وتعبد آلهتنا يوما .

فأنزلها رب السماء والأرض قاطعة حاسمة .

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر : محمد محمد حسين.

﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمُ الْكُفْرُ وَهُوَ قَوْلُهُمْ لَا نُعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿١﴾ وَلَا أُنشِرُ عِبْدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٢﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٣﴾ وَلَا أُنشِرُ عِبْدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٤﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٥﴾﴾
[الكافرون] .

ولا أدري هل قرأ (سيد العقلاء) ما كتبه أحد أعضاء جمعيته تحت عنوان (الإسلام والمدارس المحمدية) التى جاء فيها : (وإحسان المسلمين لمواليهم ، وإشفاقهم على البهائم التى ترجع - أيضا - إلى الرب ، وإنفاقهم فى سبيل الخير ، والسذاجة التى هى من خصال المؤمنين الصادقين أخرى بأن تميلنا إليهم ، من أن نصيح : (النبي الكاذب) .

وما أحسن عمل مبشريننا (!!) لو جاهدوا فى التوفيق بين الإسلام والمسيحية توفيق أختين من أم واحدة^(١) ، وهكذا أعطى الإمام من (السذاجة) ما يرغب فيه المبشرون !!

وقفة :

ولسنا نحاسب (الإمام) بعد ذلك على انضمامه للمحفل الماسونى الفرنسى ، فنحسب أنه فى ذلك التاريخ لم يكن من الناس كثير يدرك حقيقة الماسونية ، وحقيقة الدور الذى تلعبه ، ولم يكن (نيلوس) قد نشر (بروتوكولات حكماء صهيون) التى صرحت باستخدام الماسونية لتحقيق أهداف اليهود ، وإن أدرك نشرها فى روسيا فربما لم يدرك نشرها فى إنجلترا ، ولم تكن بالقطع قد ترجمت إلى اللغة العربية ؛ لأن هذه الترجمة لم تتم إلا بعد ذلك بكثير ..

لا نحاسب الرجل على هذه النقطة ، خاصة وأن الماسونية لا تكشف عن حقيقتها لأعضائها إلا فى درجة سحيفة من درجاتها الثلاث والثلاثين .

(١) للمفتش الإنجليزى جى ديلو إيستر - بجزيرة الديلى تلغراف اللندنية فى ٢ شباط ١٨٨٨ .
وراجع تعليقا على ذلك للأستاذ غازى التوبة - الفكر الإسلامى المعاصر - دراسة وتقويم .

ولا نحسب الرجل أشد حذرا من رئيس عربى ، ظل ينتسب لمحفل ماسونى حتى بعد أن صار (زعيم ثورة) و(رئيس دولة)، فلما فاحت أمر بحل كل المحافل الماسونية فى بلده!

وأما الذى نأخذه على الرجل العالم :

أولا : اقتصره من الإسلام على الإصلاح عن طريق التعليم، فالإسلام - كما سنشير- ليس مجرد ثقافة - فقط - لكنه منهج تربية ، ومنهـاج حياة ، وليته فى هذا الجانب استطاع أن يصلح !!

ثانيا : إن الرجل وهو فى موضع القدوة للمسلمين مالا (الكافرين) الذين غصبوا الديار وما بعد الديار !

وإنكار القلب وإن كنا نكتفى به من الشيخ الإمام، يفرض مع الإنكار (الاعتزال) وإلا فقد السلامة من الإثم والبراءة من الذنب، فليس وراء ذلك النوع من الإنكار حبة خردل من الإيمان .

ولا ندرى ، هل كان الإمام يحفظ :

﴿ يَتَّابِئُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِى وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝١١٠ إِنْ يَتَّقِفُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝١١١﴾ [المتحنة] .

وهل قرأ غيرها من الآيات فى نفس المعنى أم أن له فيه تأويلا كتأويله فى الملائكة أو فى سجودهم، أو فى معصية آدم، أو فى خلق عيسى عليه السلام، أو فى الجن ، أو فى السحر ، أو غير ذلك مما أعمل فيه عقله (الكبير) ليقول (بالرأى فى كتاب الله ؟ !)

لقد مضى الرجل إلى ربه فترك له حساب سره وعلايته لكننا إزاء الظاهر .
وعمره الذى أفنى فى محاولة إصلاح التعليم، بلوغا إلى مقاومة الاستعمار أو إلى
النهوض بالإسلام، لا نملك إلا أن نتلو قول الله : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ ﴾
أَعْمَلَا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف] .

ونترك - من قبل ذلك ومن بعد ذلك - حسابه على الله، لكننا نسوق ما نسوق
ليعتبر أولو الأبصار، ويتذكر أولو الألباب فلا تتكرر الصورة مرة أخرى .. !

الفصل الثانى

محاولة لخط إسلامى أصيل

المبحث الأول

ضلال وقصور

أولا : ضلال الاتجاهات الدخيلة :

لقد نقل (البعض) عن الغرب - علمانية - فى التعليم والإعلام وفى القانون ..
ونقلوا منه (تحرير المرأة) من بيتها ومن زيها ..
ونقلوا عنه إضعاف دور الدين وإضعاف رجاله ..
وظنوا ذلك طريق المدنية والتحضر والنهضة .
فهل تحقق لهم ذلك .. ؟
إن المنطق أولا يرفض ذلك النقل (الآلى) .

إن شخصين قد يمرضان بمرض واحد، ومع ذلك يعرضان على طبيب واحد،
فيقضى لكل مريض منهم بدواء مختلف عن الآخر .

وإن نباتا واحدا قد يزرع فى أرضين كلاهما خصبة، فتنبت الواحدة وترفض
الأخرى، وإن شخصين فى سن واحدة ودرجة ثقافة واحدة، قد يلقتان علما أو
عقيدة، فيورث أحدهما جهلا والآخر علما، ويورث أحدهما إيمانا والآخر كفرا !!

إن الشعوب تماما كالأشخاص؛ لأنها مجموعة أشخاص ..

ما يطب شعبا، قد يمرض شعبا آخر .

وما يعلم شعباء قد يورث الآخر جهلاً .

وما يدفع شعبا إلى الإيمان، قد يدفع الآخر إلى الكفر والفسوق والعصيان !

بل إن النبات ليأخذ بالاختيار فيتخير من عناصر التربة ما يصلح له .

فما يختاره النخيل قد لا يختاره شجر البرتقال، وهكذا ..

فهل يؤتى النبات (فطرة) الاختيار، ويفقد الإنسان الذى أوتى الإرادة قدرة الاختيار؟

ثم إن (الأصالة) ترفض ذلك النقل .

فالشعوب الأصيلة تستمسك بما لديها من (تراث)، باعتباره أحد عناصر استقلالها ..

بل أهم عناصره، وهى - حتى تحت الهزيمة - قد تستمسك به ..

ولدينا مثل من الأمة الإسلامية الأولى .

حين غلبت على أمرها أمام زحف التتار، رفضت أن تأخذ بالياسق الذى وضعه الغالبون جزءاً من شريعة جنكيزخان، وأجزاء من شريعة الإسلام وأجزاء من شرائع أخرى ..

ومثل من الأمة الألمانية ، والأمة اليابانية ، لم يفقدوا - برغم الهزيمة المرة - العناصر المميزة لشعوبهما، ولم يذهبا إلى نقل كل وارد من غير تمحيص، وها هى الأمتان تعودان أقوى مما كانتا، تعودان لتقرضا أغنى دول العالم، ولتنشرا على مستوى العالم كله منتجاتهما !!

والإسلام بعد ذلك يرفض ذلك النقل الأعمى .

لأنه هو الأعلى، والأعلى لا يمد اليد لما هو أدنى .

لأنه الطيب، والطيب لا يستبدل به الخبيث .

لأن عنده ما ينفع الناس، ولا يستبدل بما ينفع الناس الزبد أو الغشاء.
 ولا يتسع المجال لندلل من النقل والعقل :
 أن الإسلام هو الأعلى .
 وهو الطيب .
 وأن عنده ما ينفع الناس .
 فنحسب أنه لا ينكر على الإسلام ذلك إلا معاند، أو جاهل، وفي الإعراض عن
 كليهما خير، أى خير ..
 والماركسية فى منهجها الأخير تحاول أن تقيم صلحا بينها وبين الإسلام .
 والكفر والإيمان لا يصطلحان .
 والشر والخير لا يتقاربان، ولا يجتمعان ..
 ومن ثم كانت دعوة مرفوضة، غير مشكورة ..
 ولتبحث لها عن دين آخر ..
 يقبل الصلح أو التقارب أو الاجتماع .
 فلقد شب أبناء الإسلام عن طوقهم ، ولم يعودوا يقبلون ذلك (التغفيل) أو
 (التضليل) . والماركسية بتراجعاتها الكثيرة فى مجال النظرية :
 فى التفسير المادى للتاريخ .
 وفى مفهوم المادة ذاته .
 وتراجعاتها الأكثر فى مجال التطبيق العملى :
 بعد عدوها الجزئى عن إلغاء الملكية .
 وبعد عدوها المرحلى عن إلغاء الأسرة .
 وبعدول بعض أجزائها الأوربية عن مبدأ دكتاتورية البروليتاريا .

وبعدولها المرحلى (التكتيكى) عن الهجوم على الدين .

وبأخذها عن (الرأسمالية) نظرة الخوافز .

وبمهادنتها للنظم الرجعية، بل إعلانها الوفاق مع بعضها ..

كل ذلك ..

لم يعد معه من المقبول - علما ومنطقا - أن نقول بوجود (النظرية الماركسية) .

وأخيراً ..

فماذا فعلت الماركسية، حين أعطيت لها (القيادة) فى بعض البلاد الإسلامية؟،
هل حققت تقدما اقتصاديا؟

الواقع الأليم يحكم على الاشتراكية والاشتراكيين بالخراب - كل الخراب - هل
حققت تقدما سياسياً .

فى ظل توجيهاتها العليا كانت أكبر محنة للشعب المسلم فى المنطقة، حين استدلت
واستعمرت أرضه، أذل أمة فى الوجود ..

هل حققت تقدما اجتماعيا ..

ليس سوى التمزق بين أبناء البلد الواحد، بل بين أبناء الأسرة الواحدة، من
اتهامات باليمينية، والإمبريالية .

وغيرها من الألفاظ والمصطلحات الرنانة ..

ثانيا : قصور بعض الاتجاهات الإسلامية :

ماذا فعلت بنا الاتجاهات الإسلامية التى عرضنا لها : من اقتصار على العقيدة إلى
اقتصار على النسك ، إلى اقتصار على محاولة إصلاح التعليم ؟

كلها - باقتصارها على جانب واحد - أشبه بجيش جرار، معه سلاحه وذخيرته،
لكنه يقف مكانه يحرك رجليه ..

وليس له ثمة تقدم يذكر .
إنه يسير مكانه ، والعالم كله يسير إلى الأمام .
أو هي من ناحية أخرى :
تقيم جزءاً من البناء، وتهمل الباقي .
فما يتكون البناء المتكامل الذي يشد بعضه بعضاً .
وما يكون نصيب الجزء الذي بنى إلا أن تعشش فيه الغربان ، وتأوى إليه
الحشرات ..
فلا يلبث أن يبدو بعد حين كريها لكل ناظر ..
والإسلام أعز من ذلك وأكرم ..
إذن فأين الطريق ؟

المبحث الثانى

أين الطريق ؟

من ابتغى نباتا طيبا ، فلا بد له من أمرين رئيسيين :
تربة طيبة ، وبذرة طيبة . والباقي عوامل مساعدة .
والتربة الطيبة - فى رأينا - هى شريعة الله كلها ..
فإذا أحسن زرع البذرة الطيبة فى الأرض الطيبة ، كان نباتاً طيباً ..
كانت حضارة ونهضة تسعدان الإنسان وتسعدان العالم كله .
ونتحدث عن كل عنصر بما يسمح به المقام .

أولاً : الإنسان كله

أشرنا من قبل إلى أنه إذا كانت حضارات القرن العشرين - أو بالأصح جاهلياته ،
قد لجأت إلى الآلة وإلى المصنع ، وجعلت الإنسان فى الدرجة الثانية ، فإن حضارة
الإسلام تجعل الإنسان - فى الدرجة الأولى - صانعا لها ، ثم هدفاً لها ..
والإنسان - بلا شك - هو أكرم المخلوقات فى هذا الوجود .

ومن ثم كانت حضارة الإسلام - باعتبار الإنسان صانعا لها ثم هدفاً لها - أكرم
حضارة فى الوجود . وقضية تكريم الانسان وتفضيله على غيره من المخلوقات قد
تبدو قضية بديهية ، بالنسبة لعصرنا ، لكنه قد أتى حين من الدهر لم يكن فيه الإنسان
شيئاً مذكوراً ..

حتى لقد استعبد هذه الفترة ، وخضع للبيع والشراء فى سوق النخاسة .

واستعبدت المرأة في فترة ، وكان ينظر إليها على أنها متاع كسائر متاع في البيت ، وكانت تورث من بين ما يورث من الأشياء .

ولا تزال المرأة في حضارات كثيرة مستعبدة وإن علقوا على رأسها لافتة الحرية، لاتزال تباع وتشترى في سوق الرقيق الأبيض، ولا تزال تعرض سلعة رخيصة في كثير من الأماكن تباع النظرة وتبيع البسمة، وتبيع ما وراء ذلك بالدرهم والدولارا!!

وفي زمن نظر الناس إلى الملائكة على أنهم الجنس الأكرم .
ونظر آخرون إلى الجن .

وجاءت كلمة الإسلام قاطعة : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَخَلَقْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء]

وقصة سجود الملائكة لآدم التي حكاها القرآن ، ليست للتسلي ولا للتلهي :
﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ۚ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ۚ ﴾ [يوسف: ١١١] .

لكن البعض قال فيها بغير علم، وتأول صريح ألفاظها ودلالاتها، بما يخرجها عن معناها وهدفها ..

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤] .

وتكررت في أماكن أخرى بألفاظ أخرى ، لكنها كلها من الوضوح بما لا يصرفها عن معناها الظاهر إلى معنى خفى أو ملتو . الله أمر الملائكة بالسجود لآدم ، والملائكة كلهم سجدوا إلا إبليس ، أبى واستكبر وكان من الكافرين .

وسجود الملائكة على هذا النحو - فعل حدث وتم، وهو يعنى التكريم الذى أشارت إليه آيات أخرى ، بل هو أبلغ درجات التكريم ..

وتكريم الإسلام لآدم وبنيه، ينصرف بلا شك إلى الجنسين؛ الذكر والأنثى . وهذا التكريم اقتضى صيانة (الإنسان)؛ ولذا كانت صيانة (دمه) و(عرضه) و(ماله)، بل يبلغ التكريم والصون غايته ومنتهاه حين يقول رسول الله ﷺ - ناظرا لبیت الله المحرم الذى زاده الله تشریفا وتكريما : «ما أعظمك، وأعظم حرمتك . لحمة المؤمن أعظم عند الله من حرمة بيته المحرم» . حضارة القرن العشرين شهدت على أيدي بعض أدعيائها ممن جعلوا حرمة المؤمن دون حرمة الكلاب ، فأهدروا جسده ، ودمه ، وعرضه ، وحرموه من أدنى الحقوق بل أدنى الضرورات ، حرموه أن يقضى حاجته ، وحرموه أن يسد رمقه !! قد يقال : وكل حضارات الدينا لم تقم ولا يمكن أن تقوم بغير الإنسان .

ونقول : ولكنها لا تجعله من الدرجة الأولى .

ولا تنظر إليه نظرة الإسلام، كلا لا يتجزأ، أشرف ما فيه قلبه ..

الإنسان كله :

في هذا تفرق حضارة الإسلام عن سائر الحضارات، إنها لا تنظر للإنسان كجسد وحسب، كما تفعل الحضارة المادية شرقية وغربية، نزوعا إلى ذلك المستوى الهابط الذى صور به «فرويد» الإنسان مجموعة غرائز تتحرك، أو نزوعا إلى ذلك الأصل الهابط الذى تدرج به «دارون» إلى أن يجعل أصل الإنسان قردا أو ما وراء ذلك ..

حضارة الإسلام لا تغفل واقع الإنسان أنه جسد ..

لكنها لا تغفل الجانب الآخر - من الواقع - أن له روحا ..

أن له عقلا، وقلبا ..

وهى تبدأ مع الإنسان، وفي هذا تفرق عن سائر الحضارات من أعز مكان فيه وأشرفه، من قلبه ، فتودع فيه العقيدة والإيمان ..

وبهذا تكون نقطة التحول للإنسان .

بهذا يبدأ الإنسان معراجه إلى حضارة المثل والقيم والأخلاق .

ولا تغفل بعد ذلك بقية القوى فيه ..

إن لربك عليك حقاً .

وإن لبدنك عليك حقاً .

وإن لزوجك عليك حقاً .

فأعط كل ذى حق حقه .

ويتحقق في الإنسان (المسلم) التوازن المفقود عند غيره ..

فلا الجسد ولا حاجاته يطغى ، فينقلب الإنسان إلى حيوان تسيره غرائزه ..

ولا العقل ومنطلقاته يطغى ، فينقلب الإنسان إلى خيال بعيد عن الواقع والحياة .

ولا القلب وأشواقه يطغى ، فينقلب الإنسان إلى راهب ينقطع عن الدنيا وما فيها ..

وإنما كلُّ، يسير بقدر ، كما أن كلا خلق بقدر .

كل يسير في فلكه المرسوم ، كما تسير الكواكب في فلكها المرسوم .

﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ

يَسْبَحُونَ ﴾ [يس] .

أما القدر الذى يسير قوى الإنسان .

وأما الفلك المرسوم الذى يسير فيه .

فهو هذه الشريعة التى أنزلها الله له .

وفيها هذا النظام الرائع المحبوك، الذى لا يقل روعة عن نظام هذا الكون المتناسق الغريب ..

وحين تختل القوى أو تطفئ ، ففى توجيهات هذه الشريعة وأوامرها ونواهيها ، ما يرد الأمر إلى توازنه؛ ليعود كلٌ، يسير بقدر، وليعود كلٌ، إلى فلكه المرسوم بغير طغيان ولا خسران، بغير إفراط أو تفريط .

ثانيا : الشريعة كلها

الإنسان هو التربة الطيبة .

والشريعة هى البذرة الطيبة .

ومنها يكون النبت الطيب بإذن ربه ..

ومنها تكون حضارة المثل والقيم والأخلاق ..

ومحاولات النهضة الإسلامية السابقة لم تؤت ثمارها المرجوة .

إما لأنها اقتصرت على جانب فى الإنسان تقيمه وتزكيه ، وأهملت بقية الجوانب .

وكما قدمنا، فالإنسان كلٌ، لا يتجزأ ، ومخاطبة جانب فيه يخل بالتوازن الذى أودعه الله فى هذا الإنسان، كما أودع التوازن فى الكون كله ..

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿١﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٢﴾ وَأَقِيمُوا
الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٣﴾ ﴾ [الرحمن] .

وبالنسبة للشريعة، فالذين اقتصروا على العقيدة - كما قدمنا - اقتصروا على أساس، وتركوا بقية البناء .

والذين اقتصروا على النسك، اقتصروا على أعمدة، وتركوا بقية البناء .

والذين اقتصروا على التعليم، أخذوا جانبا، وتركوا بقية الجوانب وشريعة الله بناء متكامل يشد بعضه بعضا .

أساسه : عقيدة ، وأخلاق .

وعمده : شعائر ، ونسك .

وبقية أركانه وجوانبه : أوامر ونواه وتوجيهات تشمل جميع الحياة .

ونشير في إيجاز لهذه الجوانب ، ثم نشير على أنها لا تقبل التجزئة ولا التفرقة ، ثم نختم بحثنا بتساؤل :

كيف نقيم بناء الشريعة في النفس وفي الناس ؟

هذا ما نجيب عليه - بمشيئة الله - في الفصل الثالث تحت عنوان : جوانب شريعة الله .

الفصل الثالث

جوانب شريعة الله

كان من نتائج إبعاد شريعة الله عن حياة المسلمين، وإبعادهم عنها، أن اختلفت نظرة الكثيرين إليها، حتى المخلصين الراغبين إليها ..

وكان كل من قبس منها قبسا ظن ذلك هو الإسلام، أو ذلك هو الشريعة، فراح يعكف عليه وحده، ويدعو إليه وحده ..

بيد أن شريعة الله كل، لا يتجزأ، قد نقبس منها قبسا، لكننا لا نقف عنده، بل نحاول أن نحيط بالنور كله ليكون فيه الخير كله ..

ولسوف نرى فيما بعد - إن شاء الله - أن تجزئة شريعة الله قد تكون فتنة تماما كمنعها كلها، بل ربما أشد ...

من هنا كانت أهمية محاولة الإحاطة بجوانب هذه الشريعة .

وأولى هذه الجوانب وأشرفها هو العقيدة .

وثانيها المكمل لها هو الأخلاق .

ومن هذين يصطبغ المسلم بصبغة الإيمان ...

لكن لا بد من صقله وتنمية هذا الإيمان بالشعائر والنسك .

ثم باتباع سائر أوامر الله في سائر جوانب الحياة .

ونشير لكل جانب بكلمة .

المبحث الأول

العقيدة والأخلاق والشعائر

أولا :جانب العقيدة :

العقيدة أشرف جوانب الشريعة .

ولذا كانت تخاطب أشرف جزء في الإنسان، تخاطب قلبه .

وبقيامها في قلوب الناس يقوم أساس هذه الشريعة متينا قويا .

﴿ أَفَمَنْ أَكْسَرَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ﴾ [التوبة: ١٠٩] .

وقد أشرنا - في موضوع الحديث عن الاتجاهات القاصرة - إلى أن عقيدة الإسلام متمثلة في الكلمة الطيبة : لا إله إلا الله .

وهي بهذا - كما أشرنا - تتضمن نفيا ثم إثباتا .

نفيا يقتضي إسقاط كل صفات الألوهية والربوبية عن سوى الله - سبحانه وتعالى، من طواغيت، بشر كانت أو حجرا ...

ولا نحسب الإنسانية - بعد أن شبت عن طفولتها - ترتد مرة أخرى إلى جاهليتها الأولى؛ لتعطى بعض صفات الألوهية أو الربوبية لوثن أو صنم ..

لكنها لا تزال - حتى اليوم - تتردى في إعطاء بعض هذه الصفات للبشر . فتعترف لهم بحق وضع (منهاج الحياة) .

كما اعترف الماركسيون بهذا الحق لماركس ومن جاء بعده .

ليفسروا لهم الكون، والتاريخ، والاقتصاد ، ويضعوا لهم منهج السياسة والاجتماع والاقتصاد .

وكما اعترف غيرهم بهذا الحق لبشر مثلهم ، يشرعون لهم (قيمهم) و(مثلهم) ، وقواعد مجتمعاتهم وسائر جوانب حياتهم .

وتردت من ورائهم الأمم الإسلامية، تأخذ عن هؤلاء القيم والمثل والأخلاق والسلوك وسائر مناهج العمل بين الناس، وفي مقدمتها القوانين ...

ونسيت هذه الأمم أنها بهذا تتخذ أربابا من دون الله تعطيها بعض صفات الله وبعض حقوقه . تزعم أنها آمنت بالله وهي تتحاكم إلى هذه الطواغيت : من قيم ومبادئ وقواعد وتشريعات وإيمانها يقتضى أولا إسقاط هذه الطواغيت .

عقيدتها تقتضى أولا إسقاط هذا الحق عن تلك الطواغيت ...

وإثباتا : يقتضى الإقرار بكل صفات الربوبية والألوهية لله وحده .

وبذا تقوم عقيدة الإسلام واضحة قوية في قلوب المسلمين ...

يقوم الأساس متينا، ليصح من بعده ومن فوقه بقية البناء ...

ثانيا : جانب الأخلاق :

وهذا جانب يغفل عنه الكثير من المصلحين ومن الدعاة ...

مع أنه في ميزان الإسلام يقف إلى جانب العقيدة ليقيم الأساس .

وكيف لا، والرسول يجعلها غاية لابتغائه: «إنها بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(١)

وكيف لا، وقد ظل الرسول ﷺ يربي المسلمين عليها مع العقيدة أكثر من نصف حياته (الرمالية) .

وكيف لا، وبها انتشرت دعوة الإسلام في أكثر من نصف الأرض التي فتحها الله

(١) رواه مالك .

على المسلمين؛ لما رأى الناس من أخلاق تجار المسلمين في معاملاتهم ..

وكيف لا، وبها يصير المسلمون (مثلاً) تتحرك و(قيماً) تسعى على الأرض ،
ويسعى نورها بين أيديها وبأبائها ؟

وكيف لا، وقد خلق رسول الله ﷺ، وكان بهذا الخلق أشرف من خلق ﴿وَإِنَّكَ
لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : ٤] ، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ
يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة] .

وأمرنا أن نقتدى بهذا الرسول في خلقه العظيم :
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ
اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب] .

ولئن اختلفت مذاهب العالم في الأخلاق، واختلفت فيها اهتماماتهم .
فإن السمة الواضحة في هذه المذاهب وتلك الاهتمامات، أنهم لا يضعونها في
المنزلة التي يضعها الإسلام أساساً مع العقيدة للبناء كله .
ثم هي عندهم ليست نابعة عن العقيدة ولا متصلة بعبادة .
بينما هي في الإسلام كذلك .

فأما نبعها من العقيدة ، فهناك أمثلة ، منها :

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»^(١) .

(والله لا يؤمن (ثلاثاً) قيل : من يا رسول الله ؟ قال : «من لا يأمن جاره
بوائقه»^(٢) .

(١) رواه البخاري .

(٢) المصدر السابق .

«لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ...» .

﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَا الْأَلْبَابِ ﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٦٦﴾
وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٦٧﴾
وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴿٦٨﴾ [الرعد: ٢٢] .

وأما اتصالها بالعبادة، فإن إتيانها نفسه والاستمساك بها عبادة .

اسمع ما شئت قول رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليلبغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم»^(١) .

«أقربكم منى منازل يوم القيامة : أحاسنكم أخلاقا، الموطنون أكتفا ...» .

«ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن»^(٢) ثم إنها بعد ذلك تزكو بالعبادة وتربو .

فالصلاة من بين غاياتها تنمية النظام، والطاعة، والطهر والنظافة والعفة: ﴿إِنَّ
الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، «لو أن بياض أحدكم
نهرًا يغتسل منه فى اليوم خمس مرات أبقى من درنه شىء» .

وأداؤها فى جماعة ينمى روح التعاون والتراحم والود والألفة ، فيتحقق قول
الرسول ﷺ: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد ، إذا
اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(٣) .

والصيام يزكى خلق الصبر ، والاحتمال ، والإحساس بالفقير والعطف عليه .

وينمى فى الوقت نفسه مراقبة الله فى السر كمراقبته فى العلانية .

مما يولد التقوى : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه أحمد .

(٣) رواه الإمامان أحمد ومسلم .

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٠٣﴾ [البقرة] .

والزكاة تطهير للنفس من شحها .

وتطهير للمجتمع من الأحقاد .

وتزكية لأخوة الإسلام والمحبة في الله بين الغنى والفقير .

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾

[التوبة: ١٠٣] .

وهي حق في مال الغنى ، وليست مجرد إحسان ، ومن ثم ينتقى فيها ما قد يجرح

الفقير: ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿١٠٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَخْرُومِ ﴾ [المعارج] .

وفي المال - بعد ذلك - حق سوى الزكاة ..

والحج فيه صبر .

وتطهر من الرفت والفسوق والجدال .

وفيه تنمية لروابط الأخوة بين المسلمين .

وتزكية للوحدة على :

الله الواحد .

والقبلة الواحدة .

والغاية الواحدة .

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة] .

وهكذا، وهذه مجرد نماذج .

وأخلاق الإسلام بعد ذلك فيها الثبات .

فهى لا تتغير بتغير الأزمنة .

ولا تتأثر بالظروف ولا المصالح .

وهى ترتفع بالمسلم إلى مستوى من (المثل) لا تدانيه أية قيم أرضية أخرى .

ومن هنا وجب أن يربى عليها المسلمون، كما يربون على تقوى الله سواء بسوء .

ثالثا : جانب الشعائر :

العقيدة والأخلاق أساس .

ويأتى بعد الأساس : العمد .

والشعائر هى العمد .

من هنا، كانت صلتها وثيقة بالعقيدة وبالأخلاق .

فهى كذلك استمداد من العقيدة .

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج] .

ثم إن العقيدة تربو بالشعائر وتزكو .

ومن هنا ، كان قول السلف : الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصى .

وبينها وبين الأخلاق تأثير متبادل .

فحسن أدائها تزكو به الأخلاق وتربو - على نحو ما أشرنا .

كذلك الأخلاق تؤدى إلى حسن أدائها .

فمن كان ذا وفاء فهو مع الله أوفى .

ومن كان ذا صدق فهو مع الله أصدق .

ومن كان ذا أمانة حفظ أمانة الله أول ما يحفظ .

وهكذا ..

المبحث الثانى

بقية الجوانب

وهى ما تعالج - بعد العقيدة والأخلاق والشعائر - جوانب الحياة توجيها وتشريعا ابتداء من الفرد ثم الأسرة ثم المجتمع ، وفى المجتمع كل نواحيه - سياسية واقتصادية واجتماعية ، ولئن فصل الإسلام فى ثبات ووضوح جوانب العقيدة والأخلاق والشعائر فإنه فى بقية الجوانب فصل ما لا يتغير .
وأجمل ما يتغير .

فمن أمثلة ما لا يتغير : جوهر الانسان ، وما يتصل به من زواج وطلاق وميراث . فقد فصل كل ذلك تفصيلاً وافياً ، يعترف فيه بالواقع ، ثم يعرج بعد ذلك إلى معراج المثل والقيم التى يحرص عليها ، وما يثيرونه حول هذه القضايا إنها هى شبهات ، يثيرها جهل بالإسلام ، أو حقد عليه ، وليس هنا مكان العرض لها ..
ومن أمثلة ما يتغير : الظروف السياسية والاقتصادية .

ولذا رسم الإسلام فيها الخطوط الرئيسية .
وليس معنى ذلك - كما يتفوه البعض - أن ليس للإسلام نظام سياسى أو نظام اقتصادى ، فإن الإسلام يرسى المبادئ والإطار العام .
ويضع الخصائص العامة المميزة لهذا النظام الربانى .

ثم يدع لاجتهاد الإنسان تبعاً لتغير الظروف - تفصيل بقية الأحكام .
ولنأخذ النظام الاقتصادى والنظام السياسى كمثليْن نؤيد بهما قولنا السابق ، ونرد بهما رداً عملياً على أولئك الذين يستوردون لنا النظم السياسية والاقتصادية بمقولة : إن الإسلام لا يتضمنهما .

النظام الاقتصادى الإسلامى

قد يحتاج النظام الاقتصادى الإسلامى إلى حديث طويل ، وقد يحتاج إلى مقارنة مع أنظمة متعددة شرقية وغربية ، ليس من قبيل مقارنة المثل بالمثل ، ولكن قريباً من مقارنة الظلام بالنور ، والظل بالحرور ، وبضدها تتميز الأشياء ، لكن حسبنا فى هذا المقام أن نرسم الخطوط العريضة ، ولندع للدراسة الواسعة المتأنية التفصيل بمشيئة الله .

ويكتفى بالحديث عن أمرين :

١ - خصائص النظام الإسلامى الاقتصادى .

٢ - الخطوط الرئيسية للنظام الاقتصادى الإسلامى .

وإن كان الفصل بين الأمرين مجرد فصل نظرى ..

أولاً : خصائص النظام الاقتصادى الإسلامى :

١ - نظام ربانى :

بمعنى أن مصدره هو الله - سبحانه - بما جاء فى كتابه أو فى سنة رسوله .

أو ما أجمع عليه العلماء المسلمون .

أو ما كان سابقة ناجحة فى نظام الحكم الإسلامى ؛ لأنها مستقاة أولاً من معين ربانى ، ولأنها - ثانياً - اجتهد أصحابه أو تابعين لهم بإحسان ، يغنى عنها اجتهدنا لو بلغنا إلى أفضل مما بلغوه !

وربانية النظام تجعل له سحراً آخر .

أولاً : أنه يستثير فى النفس وازعاً لحفظه وحمايته أقوى من كل وازع .

فلا تحتاج إلى كثير من الأجهزة الثقيلة المعقدة التى أثقلت بها كواهل الشعوب ،

وأثقلت بها ميزانيات الدول ، وثقلت بها صدور الناس !

ومن هنا ندرك الفارق بين حصيلة الزكاة على عهد عمر بن عبد العزيز التى وفّت كل المحتاجين من الفقراء والمساكين ، ثم العاملين عليها ، ثم بقية المصارف الأخرى حتى بلغت إلى الغارمين ، فسددت الدولة عن المدينين ديونهم .

ندرك الفارق بين مثل هذه الحصيلة ومجموع حصيلة الضرائب كلها المتعددة ، التى لا تكاد تسد مصرفاً واحداً من هذه المصارف !

ثانياً : تجعل احترامه والخضوع له من المحكوم ومن الحاكم على السواء ؛ لأنه من مصدر فوق هذا وذاك أعلى وأسمى .

ثالثاً : يتحقق التكامل بين النظام الاقتصادى والنظام الاجتماعى والنظام السياسى لأن الكل من مصدر واحد ، والتجزئة بينها غير جائزة !

٢ - انتفاء الندرة :

مشكلة المشاكل فى النظم الاقتصادية المعاصرة هو ما يتناولونه تحت عنوان الندرة ، ويقصدون به قلة الموارد بالنظر إلى تزايد الناس ، أو ما يصطلحون عليه بالانفجار السكانى .

وهذه المشكلة لا وزن لها ، بل لا وجود لها فى النظام الإسلامى .

أولاً : لأن هذا النظام تقوم عقيدة أصحابه على : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ ﴾ [الذاريات] ، وعلى أنه : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود] ، وعلى أن الله قسم الرزق كما قسم الأجل ، وإن الرزق ليطلب المرء كما يطلبه أجله .

ومن ثم فلا يمكن أن يأتى وقت أو يوجد مكان تحقق فيه الندرة ، اللهم إلا أن يكون الأمر عقاباً من عند الله : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ [الأعراف : ١٣٠] .

وكلما أقبلت الأمة على الله، كلما زاد لها في رزقها :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾
[الأعراف: ٩٦].

﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٢﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿٣﴾ ﴾ [نوح].

أضف إليها بعد ذلك قول الحكيم الخبير : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾
[إبراهيم: ٣٤]. فنعمة الله ليست نادرة بل هي أعظم من أن تحصى .

ثانيا : من ناحية الواقع :

فإن واقع الأمة الإسلامية يؤكد أمرا مهماً، أنها إن عادت أمة واحدة، وعادت إلى ربها فلا يمكن أن تتحقق فيها ندرة أبدا ..

- إن المنطقة الإسلامية أخصب بقاع الأرض زراعيا ..

- وأغنى بلاد الأرض بالموارد الأولية ، وفي مقدمتها أنفسها : الذهب واليورانيوم والبتروول .

- وهي أوسط بلاد العالم موقعا - تجاريا وإستراتيجيا . إذ تشرف على منافذ البحار والمحيطات ، ويمكن لها أن تتحكم فيها ، وهي من ناحية أخرى تقع في وسط بين قارات العالم، وهي من ناحية ثالثة أكثر البلاد اعتدالا وصلاحية لكل أنواع الإنتاج .

ومن ثم ، فإن صح أن توجد الندرة في الشرق أو في الغرب بذنوب أهله وعصيانهم ، وبافتقاد المكان الذي حبا الله به أمة محمد عليه الصلاة والسلام فإنه لا يصح بالنسبة للأمة الإسلامية إذا عادت مرة أخرى أمة الإسلام ؟

٣- ابتغاء الآخرة :

وقد كان يصح أن تكون هذه هي الخصيصة الثانية، لكننا فضلنا أن نشير إلى الربانية ثم إلى الندرة، باعتبار الأولى صبغة مهمة عامة، وباعتبار أهمية الثانية عند أهل العصر ومخالفة الإسلام لها ..

أما ابتغاء الآخرة فهي خصيصة هامة ، وتأخيرها لا يقلل من أهميتها .
وابتغاء الآخرة يخفف كثيرا من غلواء الأنظمة القائمة التي تتعامل ، وكأنه ليس في الحياة إلا المادة .

وكان ليس بعد الدنيا آخرة ، يحاسب فيها المرء : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿١٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿١١﴾ ﴾ [النازعات] .

الدنيا إنما تصير وسيلة لا غاية ، مرتقى وليست منتهى ، طريقا إلى هدف وليست هدفا في ذاتها : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص:] .

وهكذا يتضح وضع الاقتصاد .

إن الاهتمام به واجب .

لكنه لا يلهمي عن الآخرة .

لأنه نفسه طريق إلى الآخرة .

وإذا ابتغى الإنسان الآخرة في اقتصاده - فردا كان أو دولة - وسار على الطريق الذي رسمه الإسلام ، فإنه بلا شك يؤدي عبادة من أجل العبادات ؛ لأن العبادة ليست قاصرة على النسك والتعبد ، إنما تشمل كل أنشطة الحياة وكل مجالاتها ^(١) .

(١) راجع الإيمان الحق - الدكتور على جريشة .

٤ - التوازن :

وهذه الخصائص المتقدمة تفضي إلى ما يسمى بالتوازن الاقتصادي .
وقد كان ذلك يكفي لتقول : إن نظام الإسلام الاقتصادي يقوم على التوازن:
لكن الإسلام أكد هذه الخاصية بأكثر من سبيل :
فجعل التوازن أمرا ملزما للفرد :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ [الإسراء : ٢٩] .

وجعلها بعد ذلك صفة للجماعة لازمة :

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان] .

ثم جعلها أخيرا صفة للأمة التي أضفى عليها الخيرية في مكان آخر :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وهكذا تكتمل حلقة التوازن أمرا وتوجيها، ومن قبل ذلك نتيجة لازمة
لخصائص أخرى !

وبهذا ينفرد النظام الاقتصادي عن أنظمة كثيرة، تعاني انعدام التوازن !

٥ - النظام الاقتصادي الإسلامي يرفض الترف :

قد كان يكفي أن نقول : إنه متوازن .

فهو يعني أنه يرفض الإسراف ، والترف قمته !

لولا أن الله ينص على الترف .

جعله قرين الفسق ، أو جعل الفسق نتيجته ، وجعل الهلاك والدمار عاقبته :

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ

فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء] . ومعنى الآية الكريمة : (أمرنا مترفيها) : أن

يرجعوا ويلتزموا ، لكنهم أبوا وفسقوا ، فكان الهلاك والدمار .

وفي القراءة الأخرى بتشديد الميم، تعنى معنى آخر : إنه إذا كان الأمر إلى المترفين .
فسلام على الأمة، إنها لا بد هالكة ! لأنه إذا اجتمعت السلطة مع الترف، فإنها لا
تنتج غير الفسق ، ولا ينتج الفسق إلا الهلاك والدمار ^(١) .

ولقد يكون الهلاك فى صورة آية من آيات الله التى أهلك بها أمما من قبل قال
فيها: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا
عَذَابًا نُّكَرًا ۖ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَنَقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝ ﴾ [الطلاق].

كما قد يكون بتسليط أعداء الله عليها ليذيقوها ألوانا من العذاب، والهوان،
والإذلال، أو لتقلب من الرأسالية الطاغية التى يتحكم فيها الترف والمترفون إلى
النقيض من ذلك إلى جحيم الشيوعية التى يتحكم فيها السفلة والكافرون !
إن الشئ إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده !

الترف يؤدى إلى ضرر اقتصادى مهم . إنه إذا شاع أدى إلى زيادة الاستهلاك على
الإنتاج وأدى إلى التضخم، وما يترتب على ذلك من اختلال التوازن الاقتصادى،
وحدوث الأزمات الاقتصادية .

وذلك كله فوق الأضرار الاجتماعية الخطيرة التى يؤدى إليها .

فوقه الأضرار السياسية، وفى مقدمتها تمكن الشيوعية الكافرة من بلاد المترفين !
وجامع هذه الأضرار، أو نتيجتها هو ما أكدته القرآن : الهلاك والدمار . فليحذر
المترفون .

وليحذر الساكتون على المترفين .

إن الهلاك والدمار يقترب منهم .

فوقه هلاك ودمار أشد وأكبر ، إنه الجحيم يوم القيامة !

(١) ورد الحديث عن الترف فى آيات أخرى (بان جعلت المكذبين من المترفين : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي
قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۝ ﴾ [سبا : ٣٤] وبعضها
جعل المترفين من أهل النار : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ۝ ﴾ [الواقعة] .

وخيرٌ للمتفرين أن يضحوا بشيء قبل أن يحرموا كل شيء .
وخير لهم أن يملؤوا أنصاف بطونهم ، قبل أن تملأها الزقوم وشراب الجحيم :
﴿ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴾ ﴿ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴾ [الدخان] .

* * *

وحسبنا هذه الخصائص الخمس لنتقل إلى الحديث عن الخطوط العريضة
للاقتصاد الإسلامي ، فإنها - إذا أزلنا الحاجز النظري - كذلك خصائص !
ثانيا : الخطوط الرئيسية للنظام الاقتصادي الإسلامي :
تنبع هذه الخطوط من التوازن الاقتصادي ، وصبغ الأنشطة الاقتصادية المختلفة
بالصبغة الربانية .

ونكتفى بخطوط ثلاثة رئيسية :

- ١ - ملكية متوازنة .
 - ٢ - حرية اقتصادية متوازنة .
 - ٣ - نظام مصرفي متوازن .
- ونتناولها - بإذن الله - على التوالي .
- ١ - ملكية متوازنة :

تملك الإنسان أمر فطري ، حتى عدها علماء النفس إحدى غرائزه .
والغريزة في علم النفس لا تقتل ، ولكن يتسامى بها .
ومن ثم فلا سبيل إلى قتل حب التملك في النفوس .
والنظام الذي يفعله ذلك يقتل نفسه !

ومن هنا كان الخطأ الرئيسي في النظام الشيوعي النظري ، الذي لم يستطع حتى
الآن أن يطبق نظريته تطبيقاً عملياً كاملاً ، وإن انتحل التعلات والمعاذير !

لكن إطلاق العنان لهذه الغريزة شأن إطلاق العنان لأية غريزة أخرى ، يهلك الإنسان ويحطمه ، كما يهلك النظام كله ويحطمه ، ومن هنا كان خطر الرأسمالية الطاغية التي تطلق العنان للملكية حتى تغدو لونا من الإقطاع ، يسلب الناس ويستعبدهم ويأكل أو يشرب ثمرات جهودهم ، وقطرات جبينهم، بل ويمتد إلى قطرات دمائهم !

ومن ثم كان خطأ الرأسمالية، أو المذهب الفردي .
وبين هذا وذاك كان نظام الإسلام قواما، وكان كذلك قواما .
والأمر أوسع من أن نعرض له في هذه العجالة .
إن الملكية في الإسلام معترف بها .

لأن ذلك يؤدي قدرا كبيرا من إنجاح النظام الاقتصادي .
فإن سلب العامل ثمرات جهوده بحرمانه من التملك - يجعله والخاذل سواء،
ومن ثم يركن النشاط الاقتصادي إلى الركود ، ويضعف الإنتاج ويتهدد البلد
البطالة والمجاعة، ومن بعدها الانهيار والهلاك !

وروسيا الاشتراكية مثل قريب ، فإن إنتاج روسيا لم يزد طوال خمسين عاما من
الحكم الشيوعي القائم على إضعاف الملكية الفردية والمنادى بالغاؤها - لم يزد عما كان
عليه في العهد القيصري أكثر من ٤٪ فقد كان إنتاجها في العهد القيصري ٤٦٪ من
الإنتاج الأمريكي، وصار إنتاجها في العهد الشيوعي وبعد خمسين عاما من حكمه
٥٠٪ من الإنتاج الأمريكي ^(١) .

فهل تستحق الـ ٤٪ الزيادة كل هذا الفناء والإفناء الذي أحدثه الحكم الشيوعي
الغاشم ؟ !

وبلوغ الإنتاج الروسى مثل الإنتاج الأمريكى ، حلم قصرت دون تحقيقه برامجها
الاقتصادية المختلفة وخططها الخمسية والعشرية ، رغم الأمانى التى كانت تداعب

(١) مقومات الاقتصاد الإسلامى - للأستاذ: عبد السميع المصرى - مكتبة وهبة - ربيع الآخر
١٣٩٥ - مايو ١٩٧٥ .

ساستها وقادتها ، وكانوا يدغدغون بها عواطف الشعوب اللهثى والجوعى ، التى شقيت بفردوس الشيوعية الكاذب !

لكن هذه الملكية المعترف بها للفرد فى النظام الإسلامى ، ليست طليقة من كل قيد ، بل إن كثيراً من القيود تحوطها مما يحقق انضباطها ، وبما يحقق أداءها لرسالة فى المجتمع يتحقق بها التوازن بين الفردية والجماعية .

ولذا فالملكية تؤدى وظيفتين :

وظيفة فردية، بما تحقق للفرد من إشباع .

ووظيفة اجتماعية، بما تحقق للمجتمع من فائدة .

وأول قيود الملكية - ما أشرنا إليه سلفاً - من تحريم الترف .

إن الملكية المترفة مذمومة، وإذا بلغت هذا الحد فإما انتهى صاحبها من نفسه، وإلا كان لولى الأمر أن يقومه والسوابق الإسلامية فى ذلك كثيرة .

ودفع المفسدة فى الإسلام مقدم على جلب المصلحة .

وتلك بعض غايات التشريع الإسلامى الحكيم .

ويلحق بالترف أمور أخرى حرمها الإسلام ؛ كالاحتكار ، والغش ، والتطيف فى الكيل والميزان .

ويلحق به كذلك الربا ، وهو آفة نفرد لها الحديث عند تناولنا للمصارف - بإذن الله، وهذه كلها فيها آثار كثيرة ومشهورة .

وثانى هذه القيود : ما أقامه الإسلام من ألوان الملكية الجماعية .

وهى مرافق كان الإسلام أسبق فى تقدير جعل ملكيتها فى يد الجماعة لا الفرد ؛ لأن خيرها يعم الجميع ، وضرر تركها أو منعها كذلك يعم الجميع ، ومن ثم كانت الجماعة - ممثلة فى أولى الأمر فيها - أقدر على إدارتها لتحقيق غايتها .

والمثل التقليدى فى ذلك قول رسول الله ﷺ : «الناس شركاء فى ثلاث : الماء

والكلأ والنار» .

لكن علماء المسلمين قاسوا عليه كل مرفق تظهر حاجة الجماعة إليه وأهمية ملكيتها له .

وثالث هذه القيود : نظام الميراث ، الذى قد يبدو لأول وهلة أنه نظام رأسمالى ، إذ يعتد بالملكية وينقلها إلى ورثة صاحبها ، لكن المتأمل فيه يجده قيذا على الملكية ، إذا يجرى توزيعها وفق نظام دقيق يكفل :

١ - تفتيت هذه الثروة وانتقالها إلى أيد متعددة بدلا من احتواء يد واحدة لها .

٢ - أنه يجرى توزيعه تبعا للحاجة ، فإذا كانت حاجة الأولاد أشد من حاجة الآباء - باعتبار أولئك مقبلين وهؤلاء مدبرين - كان نصيب الأولاد أكبر ، وإذا كانت حاجة الذكر أشد من حاجة الأنثى إذ يقوم هو على عائلة بينما تكون الأنثى من بين عائلة يقام عليها ، كان لذلك نصيب الذكر أكبر .

٣ - فوق أن النظرة الاقتصادية السليمة : تجعل وضع الملكية في يد الأبناء وهم أنشط ، أولى من وضعها في يد الآباء ، والأغلب أنهم طاعنون في السن ، كذلك وضعها في يد الذكر أجدى للنشاط الاقتصادى من وضعها في يد الأنثى .

وهكذا يمضى نظام الميراث حكيما ليؤدى وظيفة اقتصادية عظيمة عجز البعض عن إدراكها ، فراح يبدل كلام الله ، ويتتهك حدود الله ، ويسوى بين الذكر والأنثى في الميراث؛ ليحقق بذلك الظلم ، وهو يحسب أنه يحقق العدل ، فليس البشر مهما كان بأعدل من الله ، ولا هم أحنى على البشر من رب البشر الحنان المنان ، الرحمن الرحيم ، الكريم الودود .. !

ورابع هذه القيود : ما يجعله من حق في المال : الزكاة بأنواعها .

ولو أخذت هذه الزكاة ممن تجب عليهم ، ووزعها ولى الأمر على من تجب لهم ، لحققت لونا من العدل الاجتماعى لم يبلغه نظام آخر .

ولحققت كذلك لونا من التقارب والتآخى ، بل ولاقتربت بالنظام من التوازن

الذى يحبه الله فى كل شىء !

وقديما غطت حصيلة الزكاة - مع حياة الضمائر - غطت الفقراء والمساكين
والعاملين عليها ، وأعتقت الرقاب ، وغطت كذلك المدينين الغارمين !
وفى المال حق سوى الزكاة .

قد يتمثل فيما يفرضه ولى الأمر المسلم من ضرائب .
وقد يتمثل فيما يراه علاجا للوضع الاقتصادى ، قد يبلغ فى بعض الظروف
الاقتصادية الاستثنائية ألا يملك أحد شيئا .. وفى الذين كانوا إذا سافروا أرمّلوا ،
وفى امتداح الرسول ﷺ لهم مثل عظيم !
وخامس هذه القيود : منع الضرر .

فملكيتك حق ..

وللآخرين حق ..

وحتى لا يطفئ حق على حق ، وجب أن يمتنع المسلم عن الضرر ، أو الضرار ،
حتى يقف عند حدود حقه ، فلا يعتدى على حق الآخرين .

وبهذا يمتنع تجاوز استعمال الحق .

لكن داخل استعمال الحق نفسه يمتنع لون من الإضرار كذلك ، هو ما اصطلاح
على تسميته بإساءة استعمال الحق ..

ويوم اكتشفت هذه النظرية فى مطلع القرن العشرين ، التفت العالم كله إلى
مكتشفها ، ونسى الناس - فى غيبة الدعوة وغفلة الدعاة - أن الإسلام صاحبها
الأول .

فقد نص رسول الإسلام على قاعدة : (لا ضرر ولا ضرار) وهو أساسها
القانونى ، وطبق الإسلام صوراً عديدة لمنع إساءة استعمال الحق فى مقدمتها : حق
الشفعة الذى يؤكد هذا القول تأكيداً عملياً .

وبهذه القيود، تتحقق للملكية وظيفتها الجماعية إلى جانب وظيفتها الفردية، فكان الملكية عملة ذات وجهين؛ أحدهما: فردى والثانى جماعى .

وهذا غير ما تتابع ^(١) فيه بعض الكتاب - جريا وراء التعبيرات الحديثة من أن الملكية الفردية فى الإسلام ذات وظيفة اجتماعية . إن لها الوظيفتين الفردية والجماعية ليتحقق بذلك التوازن لهذا اللون من النشاط .

٢ - حرية اقتصادية متوازنة :

تحدث الاقتصاديون عن الحرية الاقتصادية .

فزعم أبناء الغرب أنها تتحقق فى النظام الفردى .

وأن هذا النظام أجدى لتحقيق وفرة الإنتاج وجودته ، وأن القيود التى تفرض على الحرية الاقتصادية لا يجنى أصحابها إلا قلة الإنتاج وردائه ، وهرب رأس المال وبحته عن أوطان أخرى غير وطنه ، ومن ثم يتأثر الاقتصاد القومى تأثرا بالغا بالإجراءات التى ترد قيда على الحرية الاقتصادية .

وزعم أبناء ماركس أن الحرية الاقتصادية فى الغرب أورثت أزمات البطالة ، والدورات الاقتصادية والاحتكار ، وغيرها من المساوئ .

ومن ثم ، فلا سبيل إلا بالقيد الثقيل الذى فرضوه ، وهو أن تكون الحرية للجماعة للفرد ، ولل فرد (قدر حاجته ، ومنه قدر قدرته) .

والحق أن الغرب أخطأ إذ أطلق الحرية .

والشرق أخطأ إذ جعل القيد أصلا .

وفى الإسلام تتوازن الحرية الاقتصادية بين الفرد والجماعة ، بما يحول دون طغيان طرف على طرف ، وبما يحقق للنظام الاقتصادى أمثلا ما يتمناه ، مع نبذ مساوئ كل طرف غالى فى الحرية ، أو غالى فى القيود !

(١) أى تساقط .

٣ - نظام مصرفي متوازن :

في الغرب شاع النظام المصرفي القائم على سعر الفائدة ، وهو تعبير آخر عن الربا ، وأدرك الناس متأخرين أن اليهود كانوا وراء هذا النظام ، وأن بيوت المال قد تجمعت مقاليدها في أيديهم ، لما صارت النقود تلد النقود بغير جهد وبغير عمل ! وأدرك علماء الغرب ما في الربا من خطر .

وراح البعض يحصى أثر الربا ، وغيره من ألوان الاحتكار على الجريمة في أمريكا ، حتى قالوا : إن أربعة ملايين ونصف مليون جريمة خطيرة تقع كل عام .
- جريمة قتل كل ٢٩ دقيقة .

- جريمة اغتصاب (زنا بالإكراه) كل ١٧ دقيقة .

- جريمة سرقة بإكراه كل دقيقتين .

- جريمة سرقة سيارة كل ٤١ ثانية .

- جريمة سرقة منزل كل ١٧ ثانية .

وهكذا صدق الله سبحانه :

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٦﴾ ﴾ [البقرة]

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٧﴾ ﴾ [البقرة]

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾ [البقرة] .

﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتِغُوا فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ [البقرة] .

ومع هذه الصراحة ، راح البعض يتأول قول الله: ﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴾ [آل عمران : ١٣٠] بما يخرج عن مراد الآية الكريمة ، ويفرق بين ربا الاستهلاك وربا الإنتاج .

والبعض الآخر راح يحل الربا للدولة ، ويحرمه على الأفراد !! بحجة احتياج الدولة للخروج من أزمتها ..

بينما قادتها يرفلون في ترف داعر ، ونعيم حرام .

واشترى هذا الفريق من العلماء رضا الناس بغضب الله ، واستحق من وافقوه، أوحرضوه، أو سكتوا عنه حرب الله ورسوله !

وبدلا من أن يأمر بتحريم الحرام من ذلك الترف الداعر ، راح يأمر بتحليل الحرام من الربا ، علاجا لأوضاع أوجدوها هم ولم يوجدها أحد غيرهم !!
ولقد كانت توصيات مجمع البحوث الإسلامية صريحة ^(١) :

١ - الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم ، لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي ولا ما يسمى بالقرض الإنتاجي ؛ لأن نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة في تحريم النوعين .

٢ - كثير الربا وقليله محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة ، والاقتراض بالربا محرم كذلك ، ولا يرتفع إثمه إلا إذا دعت إليه الضرورة ، وكل امرئ متروك لدينه في تقدير ضرورته .

٣ - أعمال المصارف من الحسابات الجارية وصرف الشيكات وخطابات الاعتماد والكمبيالات الداخلية التي يقوم عليها العمل بين التجار والمصارف في الداخل ، كل هذا من

(١) المؤتمر الثاني المنعقد في القاهرة عام ١٩٦٥ .

المعاملات المصرفية الجائزة وما يؤخذ في نظير هذه الأعمال ليس من الربا.

٤ - الحسابات ذات الأجل وفتح الاعتماد بفائدة ، وسائر أنواع الإقراض نظير فائدة ، كلها من المعاملات الربوية وهى محرمة .

٥ - أما المعاملات المصرفية المتعلقة بالكمبيالات الخارجية فقد أجل النظر فيها إلى أن يتم بحثها .

٦ - ولما كان للنظام المصرفي أثر واضح في النشاط الاقتصادي المعاصر ، ولما كان الإسلام حريصا على الاحتفاظ بالنافع من كل مستحدث مع اتقاء أضراره وآثامه ، فإن مجمع البحوث الإسلامية بصدد درس بديل إسلامي للنظام المصرفي الحالي ، ويدعو علماء المسلمين ورجال المال والاقتصاد إلى أن يتقدموا بمقترحاتهم في هذا الصدد ^(١) .

وفي مؤتمر الفقه الإسلامي المنعقد بالرياض ذي القعدة سنة ١٣٩٦ ^(٢) أصدر في صدد الفائدة ما يلي :

- العمل على إلغاء المعاملات الربوية ومنها الفائدة المحددة ؛ لأنها ربا صريح ، وهى ضارة بالنشاط الاقتصادي حيث لا يتم التوازن الاقتصادي إلا بالغائها ..

- التوسع في إنشاء مؤسسات مصرفية غير ربوية ودعم القائم منها ، والعمل على تشجيع بقية المؤسسات المصرفية العاملة في البلاد الإسلامية على تطوير نظمها بما يتوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية .

(١) ص ٤٠١ ، ٤٠٢ من كتاب المؤتمر الثاني للبحوث الإسلامية .
(٢) أكتوبر ١٩٧٦ .

النظام السياسى الإسلامى

لا ينتظرون أحد أن نقدم له منهجا مفصلا لنظام سياسى إسلامى ، فذاك لا يمكن قبل أن تقوم دولة الإسلام ، ولا ينتظرون أحد أن نقدم صورا من التاريخ الإسلامى ، فذاك موضع دراسة أخرى .

إنما نقدم - بمشيئة الله - تخطيطا لنظام سياسى إسلامى ، لا يحوى خطوطه الرئيسية التى لا يصح إن تخلفت كلها أو بعضها أن يقال عن نظام ما : إنه نظام إسلامى .. ونحن فى هذا - بإذن الله - لا نقدم شيئا بدون دليل .

وفى اعتقادنا أنه يلزم لنظام سياسى إسلامى ثلاثة خطوط :

أولها : شرعية إسلامية تظله .

ثانيها : أمة تحمله .

ثالثها : سلطة تحميه .

ونتناول كلا بكلمة :

أولا : الشريعة الإسلامية

قد يظن أن هذا اللفظ مستعار من أنظمة أجنبية ، لكن المتأمل يجد أنه فى الأصل لفظ إسلامى من ناحية اشتقاقه ، ثم من ناحية دلالة .

فنحن أسبق من غيرنا إلى الشرعية ، وأرسخ قدما والحمد لله .

فالشرعية اشتقاق من فعل شرع .

وبين الشرعية والشرعية جناس كامل من ناحية اللفظ .

وكذلك من ناحية المعنى .

ففى فقه الإسلام لا شرعية بغير شريعة .

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[الجنائية] .

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى] .

وحتى تظل الشرعية الإسلامية نظاما ما ، لابد من ثلاثة شروط :

أولها : أن يكون لله الشرع ابتداء :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى] .

وإذا يشاركه هذا السلطان أحد من البشر ، وإلا كان الشرك والكفر :

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى] .

ورد الشرع إلى الله ابتداء لا يعنى الجمود عن الاجتهاد ، فيما سكنت عنه الشرع
رحمة بنا غير نسيان ، أو فيها جاء ظنى الدلالة ، وذاك أمر الله إلينا : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى
الرَّسُولِ وَالْيَاقِينِ أُولَىٰ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء] .

والاجتهاد وإن لم يكن شرعا ابتداء ، إلا أنه شرع ابتداء لا ابتداء ، أى : استمدادا

من شرع الله واستنباطا منه .

ومن ثم ، ففي ظل دائرة الاجتهاد نحن كذلك في ظلال الشريعة الإسلامية .

الشرط الثاني : أن تكون شريعة الله هي العليا :

وشريعة الله لا تكون عليا إلا حين لا تكون معها شريعة أخرى ولا تكون فوقها شريعة أخرى ، وليست الشريعة - كما أشرنا من قبل - قاصرة على مجال الأحكام ، وإنما تمتد إلى كل المجالات وتشمل جميع الأنشطة . ولقد حرص الكتاب على التنويه بجعل شريعة الله هي العليا في أكثر من موضع ، فقوله تعالى ﴿ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾ [التوبة : ٤٠] تعني أن تكون شريعة الله هي العليا ؛ لأن لفظ (كلمة) اسم جامع لكلمات الله وبكلماته نزلت شريعته .

وقول رسول ﷺ : «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» ^(١) تعني نفس الشيء .

وقول الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات] .

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات] .

الآية الأولى تعني : لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ، أى : لا يكن لكم رأى ولا شرع ولا نظام فوق شرع الله ورسوله ، وهو ما عنيناه بأن تكون شريعة الله هي العليا .

(١) رواه الستة .

أما الثانية فهي تحرم رفع الصوت فوق صوت النبي .

وليس من المعقول أن يحرم رفع الصوت ماديا فوق صوت النبي ، ويجوز رفعه معنويا بجعل شرع أو رأى فوق شرع النبي ﷺ ، بل يمكن أن نقول : إن صوت النبي هو الشرع ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم] .

ولقد يكون هذا الشرط غريبا على من قبلوا تطبيق شريعة الله .

لكن يبدو لازما بالنسبة لقوم نصوا في بعض دساتيرهم على أن الشريعة الإسلامية مصدر رئيسي ، فأجازوا بذلك أن تكون معها شرائع أخرى ، أو آخرون جعلوا الشريعة الإسلامية مصدرا ثالثا بعد التشريع الوضعي والعرف ، فجعلوا فوق شريعة الله شرائع أخرى . كذلك بالنسبة لمن يطبقون ، فقد يجعلون مع شريعة الله شرائع أخرى في بعض المجالات التي يظنون أن الشريعة سكنت عنها ، وفي الحقيقة أنها لم تسكت ، مثل النظم المصرفية وكثير من النظم الاقتصادية والاجتماعية ، بل والسياسية !

من هنا كان لابد من التنويه بهذا الشرط لنقول : لا إنه إذا لم تكن شريعة الله هي العليا لاشريعة معها ولا شريعة فوقها ، فإنه لا شرعية للنظام الذي يزعم لنفسه أنه إسلامي .

الشرط الثالث: أن تطبق شريعة الله شاملة غير مجزأة :

وشريعة الله شاملة العقيدة والأخلاق ، وشاملة الشعائر والمعاملات وهي بهذا الشمول لا تقبل التجزئة :

فطرة :

لأنها بناء متكامل يشد بعضه بعضا ، وبتر بعض الشريعة كهدم بعض البناء إن لم يؤد إلى هدمه كله ، فعل الأقل يعجزه عن أداء وظيفته كاملة .

أو في شفاء متكامل ، وترك بعض الدواء يؤدي إلى عدم الشفاء إن لم يؤدي إلى
تفاقم المرض .

وهي لا تقبل التجزئة شرعا ؛ لأن الله سبحانه وتعالى جعل الإسلام هو هذه
الشرعية المتكاملة ، وبتر جزء - أو استبدال غيره به - لا نستطيع معه أن نقول : إنه هو
الإسلام الذي رضيهِ لنا الله !

فضلا عن أن الله سبحانه حذرنا هذه الفتنة ، فقال :

﴿ وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزَلَ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة : ٤٩] .

وعقب على هذه التجزئة بقوله : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَبَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ
حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة] .

فالذي يأخذ كل نظامه من عند غير الله ، كالذي يأخذ بعض نظامه من عند غير
الله ، قد رضى حكم الجاهلية وأعرض عن حكم الله .

وقال رسول الله ﷺ : « من حالت شفاعته دون حدٍّ من حدود الله فقد ضاد الله في
حكمه » ، فجعل تعطيل حد واحد من حدود الله مضادة لله في حكمه ، ومحادة له في
أمره ، فكيف بمن عطل أكثر من حد ، ومنع أكثر من حكم ؟
وهكذا كانت تجزئة شريعة الله :

فتنة .

وجاهلية .

ومحادة الله ورسوله .

ومن ثم كانت مرفوضة غير مقبولة .

وهكذا تكتمل للشرعية شروطها .

إذا كان لله الشرع ابتداء .

إذا كانت شريعة الله هي العليا .

إذا طبقت شاملة غير مجزأة .

قدم سليمان بن عبد الملك المدينة فأرسل إلى أبي حازم ، فكان مما قاله سليمان :

- يا أبا حازم ، ما لنا نكره الموت ؟

- قال : لأنكم خربتم آخرتكم ، وعمرتم دنياكم ، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب .

- فقال : يا أبا حازم ، كيف القدوم على الله ؟

- قال : يا أمير المؤمنين ، أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله ، وأما المسيء ، فالأبق يقدم على مولاه .

- فبكى سليمان وقال : ليت شعري ، ما لي عند الله ؟

- قال أبو حازم : اعرض نفسك على كتاب الله تعالى ، حيث قال : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿ [الانفطار] .

- فقال سليمان : فأين رحمة الله ؟

- قال : قريب من المحسنين ..

- ثم سأله بعد ذلك : ما تقول فيما نحن فيه ؟

- قال : أو تعفيني ؟ ثم قال : إن آباءك قهروا الناس بالسيف ، وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم ^(١) .

وقيام الشريعة الإسلامية على هذا النحو ، أو تطبيق الشريعة الإسلامية بهذه الشروط ، يستتبع ويستلزم للنظام الإسلامى أن توجد أمة تحمله ، وأن توجد سلطة تحميه ، ولهذا وتلك من السمات والشروط ما يحتاج لشيء من التفصيل .

(١) تفصيل ذلك فى تفسير القرطبي .

ثانيا : أمة تحمل الحق :

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف] .

وهذه الأمة التي جعل الله لها الخيرية على سائر الأمم جعلها بحقها وشروطها ، وهي إن قامت فيها هذه الشروط كتب الله لها الخلود .

ولقد بقيت الأمة الإسلامية رغم المحن والأزمات ، ورغم تقلبات الحكم والحاكم ، بقيت بحمد الله حافظة لكتاب الله ، محفوظة بعناية الله ، حتى لقد صح ما قاله أحد الأئمة من أن العصمة في الإسلام للأمة لا للإمام ، وصح ما نقوله من أن الأمة الإسلامية كانت بعد الكتاب العزيز من أكبر آيات الله العزيز الحميد .

فلو أن أمة أخرى تعرضت لما تعرضت له الأمة الإسلامية ، من كيد ، وبطش ، وعسف ، لما كان لها اليوم وجود .

وإن الأمة التي أخرجت أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلياً وعمر بن عبد العزيز من الحكام ، وأخرجت من العلماء العاملين : أبا حنيفة ، ومالكاً ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، ومن بعدهم الذين : ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب] .

وحج الرشيد عاماً فلقية عبد الله العمري في الطواف ، فقال : يا هارون ، قال : لبيك ياعم ، قال : كم ترى هنا من الخلق لا يحصيهم إلا الله ؟ قال : اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه ، وأنت واحد تسأل عنهم كلهم ، فانظر كيف تكون ؟ فبكى هارون وجلس ، فجعلوا يعطونه منديلاً منديلاً للدموع ، ثم قال له : إن الرجل ليسر في مال نفسه فيستحق الحجر عليه ، فكيف بمن أسرع في مال المسلمين ^(١) .

(١) سراج الملوك للعلامة: أبي بكر محمد بن الوليد - طبعة سنة ١٣١١ هـ ، وهامش مقدمة ابن خلدون ص: ٦٦ .

والأمة الإسلامية وإن كانت اليوم تبدو مفككة ضعيفة ، فإنها تحمل عناصر الابتعاث ..

وهى فى ابتعاثها لا تحتاج إلى وقت طويل ! وقد أدرك ذلك بعض المستشرقين فقالوا وحذر منه .

ونحن بحاجة فى هذه العجالة أن نشير إلى سمات هذه الأمة وتكملة أخرى أشرنا إليها فى مكان آخر .

فهى أولا : أمرة بالمعروف ناهية عن المنكر :

ولا يمكن أن تأمر بالمعروف ولا تأتبه ، أو أن تنهى عن منكر وتأتبه ، ففاقد الشيء لا يعطيه ، فأمرها ونهيها يعنى أنها تقيم هذا المعروف وتلفظ ذلك المنكر .

وكل ما أمر به الله ورسوله معروف ، بل هو أعرف المعروف .

وكل ما نهى عنه الله ورسوله منكر ، بل هو أنكر المنكر .

وهى ثانيا : تؤمن بالله :

وإيماننا بالله يعنى أنها تقوم على التوحيد ..

ولا تقارب بين توحيد وتثليث .

ولا تقارب بين توحيد وشرك .

ولا تقارب بين توحيد وغيره من العقائد الفاسدة ..

وهى ثالثا : تقوم مع التوحيد على الوحدة :

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء] .

وهذه الجنسيات ، وهذه الحدود دخيلة عليها ، ليست من أمر الله فى شيء ، والأمة الواحدة هى التى انتصرت من قبل .

ولقد رفض رسول الله ﷺ عصية الجاهلية وقال : «دعوها فإنها منتنة» ، ورفض
المناداة بالعصية بين الأنصار والمهاجرين .. حين نادى أحدهم : يالأنصار ونادى
آخر : يا للمهاجرين ، فغضب رسول الله ﷺ غضبا شديدا وقال : «أبدعوى
الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟» .

ونزل الكتاب العزيز يؤكد قول الرسول الكريم : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا
فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ
تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ [آل عمران] .

وهكذا ، كانت الفرقة والجنسيات والحدود جاهلية ، أو كفرا .

وكانت الوحدة أخت الايمان : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٧﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران] .

وامتدح الرباط الذى وحد الأمة فى كتابه ، فقال عن المهاجرين : ﴿لِلْفُقَرَاءِ
الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الحشر] .

وقال عن الأنصار : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ
إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر] .

وهكذا قامت دولة الإسلام الأولى تضم كل من قال : لا إله إلا الله ، بغير تفرقة
لوطن ، أو جنس ، وبغير اعتراف بحدود ، أو جنسية !
وهكذا ينبغى أن نقوم مرة أخرى !

ثالثاً: سلطة تحمى الحق :

قلنا : لابد من أمة تحمل الحق وسلطة تحمى الحق ، هذه السلطة لابد لها من أمرين تقوم بهما :

١ - إقامتها شريعة الله

وهذا أساس شريعتها الأولى .

وبغيره تغدو سلطة غير شرعية يجب جهادها ، وإقامتها شريعة الله لابد أن يكون على النحو الذى أشرنا إليه .

٢ - قيامها على رضا المسلمين بها :

والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها :

أ - أن الرضا أساس المعاملات فى الإسلام : ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تَحْتَ نَجْتَةٍ عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] . والإمامة - أو الخلافة - عقد بين الخليفة والرعية يلزم له الرضا .

ب - أن الرضا لازم لصحة الإمامة الصغرى - إمامة الصلاة - فوجب الرضا من باب أولى لصحة الإمامة الكبرى إمامة المسلمين .

ج - لقول الله سبحانه : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] ، فدللت الآية فى الطاعة على الشرط الأول وهو إقامة شريعة الله ، ودلت بلفظ (منكم) على الشرط الثانى وهو الرضا ، فإنهم لا يكونون منا بغير رضا منا .

د - لأن رسول الله ﷺ قد حرص على غرس هذا الأصل فى المجال السياسى بما فعله ببيعة العقبة الأولى والثانية ، مع أنه رسول الله وما كان بحاجة إلى رضا الناس ، لكنه حرص حين مهد لإقامة الدولة أن تكون إمامته ورئاسته لهذه الدولة برضا من المسلمين .

هـ - ثم ما فعله حين ترك تعيين خليفة من بعده؛ ليتم اختياره برضا المسلمين ،

الأمر الذى حرص عليه الخلفاء الراشدون من بعده على تفصيل ليس هنا محله .

و - لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (فمن بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فإنه لا بيعة له ، ولا الذى بايعه تغرة أن يقتلا) .

ز - وهذا ما طبقه عمر بن عبد العزيز - حفيد عمر بن الخطاب رضى الله عنهما - حين ولى أمر المسلمين فقال : (أيها الناس ، لقد ابتليت بهذا الأمر من غير رضا منى ، ولا مشورة من المسلمين ، وإنى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعة فاختاروا لأنفسكم) .

فأعاد بذلك تصحيح الوضع إلى ما كان عليه فى عهد الراشدين .
فإذا قامت السلطة على شريعة الله ثم على رضا المسلمين ، فلا يهم الشكل بعد ذلك :
لا يهم أن نسميها خلافة .

أو أن نسميها إمامة .

أو نسميها إمارة .

أو غير ذلك من الأسماء ، ما دام قد توافر لها هذان الركنان الأساسيان ، فإن انهار أحدهما انهارت الشريعة التى تستند إليها السلطة ، وفى الأمر تفصيل ليس محله هذا المقام^(١) .

وبعد

* فتلک شريعة الله ، البذرة الطيبة ، التى تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، وهى - كما أشرنا فى أكثر من موضع - لا تقبل التجزئة .

* وواجب الدولة بالنسبة لكل جوانبها واجب مزدوج ، فهو إيجابى من ناحية ، يرفع ويصون ويوجه ويدافع بالكلمة ، والصورة ، والسيف !

(١) راجع فى تفصيل ذلك : نظرية الخروج ، المشروعية الإسلامية العليا للدكتور : على جريشة .

وهو سلبى من ناحية أخرى ، يمنع ويحول ، دون أن يחדش عقيدة ، أو خلقا ، أو شعائر ، أو نسكا بالكلمة المنشورة ، أو المتطورة . وبالتربية فى المدارس ، والبيوت ، وبالحدود ، والقصاص ، والتعزير !

وذلك هو الفهم السليم لحراسة الدين ، وسياسة الدنيا به .
وهو تعريف الخلافة ، وتعريف كل حكم شرعى أو يريد لنفسه الشرعية !
ومن ثم :

فعلمانية القانون : عدوان على الشرعية الإسلامية .
وعلمانية التعليم : عدوان على الشرعية الإسلامية .
وعلمانية الإعلام : عدوان على الشرعية الإسلامية .
وعلمانية المجتمع - بعلمانية تقاليده ، وخلق ، وعاداته : عدوان على الشرعية الإسلامية ؛
وعلمانية الاقتصاد - بقيامه على الربا ، أو افتقاره لخصائصه الرئيسية : عدوان كذلك على الشرعية الإسلامية .
وعلمانية الحكم - بقيامه على غير الشرعية ، أو على غير رضا الناس : عدوان صارخ على الشرعية الإسلامية .
تماما ..

كما لا يقبل من الفرد أن يصلى ، ويترك الزكاة .
وكما لا يقبل منه أن يصوم ، ويقول الزور أو يعمل به .
وكما لا يقبل منه أن يحج ، ويرفث ، أو يفسق .
وكما لا يقبل منه أن يفعل ذلك كله ، ثم يترك الجهاد ذروة سنام الإسلام أو يجاهد ، ثم يستبيح لنفسه ما نهى عنه الإسلام :
من كذب ، أو خلف ، أو خديعة ، أو خيانة .. !

إنها لكبيرة ممن وضع نفسه هذا الموضع ..

كذلك هي كبيرة من رفعوا شعارات الإيمان، أو الإسلام، ثم أعرضوا عن حكم الله :

في الاقتصاد .

أو في السياسة .

أو في الاجتماع .

أو في العقيدة .

أو في الأخلاق .. !

* ويقي : كيف لنا أن نعود إلى تحكيم الشريعة كلها ، كما كانت على عهد رسول الله ﷺ وصحابته ومن تبعهم بإحسان ؟

والرد :

رسول الله بدأ من القاعدة ، لكنه لم يغفل القمة .

فكان تركيزه على الضعفاء والمساكين ، وكانت رسله وكتبه إلى الملوك .

ونحن .

كثيرا ما بدأنا من القاعدة ، وركزنا عليها ، وتركنا القمة ليستعملها غيرنا في حربنا ، وقامت أماننا الصعاب في القاعدة .

فنحن نبني ، وغيرنا يهدم ، إذاعة ، تلفزيون ، سينما ، صحافة ، رأى عام .

وحرب القمم لنا حرب مجردة من المبادئ، والقيم الإنسانية التي كان يعرفها العرب في جاهليتهم ، والتي دفعتهم أن يفكوا الحصار عن رسول الله ﷺ والذين معه بعد ما ظلوا فيه ثلاث سنين ، ودفعت أمثال أبى سفيان أن يشهد لرسول الله ﷺ لما سئل عنه ، وأمثال عتبة أن يشهد للقرآن شهادة حق .

فهل لنا أن نصبر على القاعدة ، حتى نخلص لنا قاعدة صلبة الإيمان قوية اليقين .. ؟

وهل لنا أن نبحث عن قمة عاقلة ، تسمح لنا بالبناء ، دون أن تهدم ، ودون أن

تُحارب من يبنى ، ولها ألا تنازع الملك والسلطة !
إن القاعدة عريضة مؤمنة ، وقمة عاقلة متبصرة ، هي أمل الإسلام القريب ،
والله المستعان ..

المراجع

- ١ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام: ابن تيمية .
- ٢ - القرب في محبة العرب للحافظ: العراقي .
- ٣ - الفكر الإسلامى المعاصر : دراسة وتقويم لغازى التوبة .
- ٤ - الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى للدكتور: محمد البهى .
- ٥ - تهافت الفكر المادى بين النظرية والتطبيق للدكتور: محمد البهى .
- ٦ - الإيمان الحق : شهادة وعقيدة وعبادة للدكتور المستشار: على محمد جريشة .
- ٧ - فى الزنزانة للدكتور المستشار: على محمد جريشة .
- ٨ - عندما يحكم الطغاة للدكتور المستشار: على محمد جريشة .
- ٩ - الإسلام يتحدى - مدخل علمى للإيمان لوحيه الدين خان .
- ١٠ - حاضر العالم الإسلامى : تأليف لوثرروب ستودارد ، وترجمة نويهض ، وتعليقات شكيب أرسلان .
- ١١ - حضارة العرب لغوستاف لوبون ، ترجمة عادل زعير .
- ١٢ - الغارة على العالم الإسلامى ، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد الياق .
- ١٣ - الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر للدكتور: محمد محمد حسين .
- ١٤ - الإسلام والحضارة الغربية للدكتور محمد محمد حسين .
- ١٥ - حصوننا مهددة من داخلها - فى أوكار الهدامين للدكتور: محمد محمد حسين .
- ١٦ - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية: لأبى الحسن الندوى .
- ١٧ - الإسلام فى وجه التغريب : مخططات الاستشراق والتبشير للأستاذ: أنور الجندي .

- ١٨- العالم الإسلامى : الاستعمار السياسى والثقافى والاجتماعى للأستاذ: أنور الجندى .
- ١٩- بين الرابطة الإسلامية: والفكرة القومية لأبى الأعلى المودودى .
- ٢٠- مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والإسلام ليوسف كمال محمد .
- ٢١- لم هذا الرعب كله من الإسلام ؟ للأستاذ جودت سعيد .
- ٢٢- التبشير والاستشراق : أحقاد وحملات للمستشار: محمد عزت إسماعيل الطهطاوى .
- ٢٣- المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى والإسلامى لإبراهيم خليل أحمد .
- ٢٤- أفيون الشعوب للعقاد .
- ٢٥- حقيقة الشيوعية- سلسلة : اخترنا لك - الشيوعية والإنسانية لعباس محمود العقاد .
- ٢٦- الإسلام والشيوعية للدكتور: عبد الحليم محمود .
- ٢٧- الخطر اليهودى - بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة محمد خليفة التونسى .
- ٢٨- الصهيونية بين الدين والسياسة لعبد السميع الهراوى .
- ٢٩- العالم العربى اليوم لمورو بيرجر .
- ٣٠- أحجار على رقعة الشطرنج لوليم غاى كار ، ترجمة سعيد الجزائرى .
- ٣١- لعبة الأمم لمايلز كوبلاند ، تعريب مراد سرخيس .
- ٣٢- وجهة الإسلام لهاملتون جب وآخرين .
- ٣٣- تقرير لورد كرومر سنة ١٩٠٦ .
- ٣٤- أعمدة الحكمة السبعة للورنس .
- ٣٥- مقومات الاقتصاد الإسلامى للأستاذ عبد السميع المصرى .
- ٣٦- الإسلام فى وجه الزحف الأحمر لمحمد الغزالى .
- ٣٧ - ماركسية القرن العشرين ، ترجمة لكتاب جارودى (التحويل الكبير فى الاشتراكية) لنزيه الحكيم .
- ٣٨- الخطر الصهيونى على العالم الإسلامى لماجد كيلانى .

- ٣٩ - تجربة عربى فى الحزب الشيوعى لقدرى قلجى .
- ٤٠ - حوار مع الشيوعيين فى أقيية السجون لعبد الحليم خفاجى .
- ٤١ - مستقبل الحضارة بين العلمانية، والشيوعية، والإسلام ليوسف كمال محمد .
- ٤٢ - نحن والشيوعية فى الآونة الأخيرة للدكتور سعدون حمادى .
- ٤٣ - مؤامرة اليهود على المسيحية لإميل الغورى .
- ٤٤ - الكنز المرصود فى قواعد التلمود للدكتور روهلنج ، ترجمة الدكتور يوسف نصر الله .
- ٤٥ - خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية لعبد الله التل .
- ٤٦ - اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية لإيليا أبى الروس .
- ٤٧ - الماسونية فى العراق للدكتور محمد على الزغبى .
- ٤٨ - الجمعية الماسونية : حقائقها وخفاياها للدكتور: أحمد غلوش .